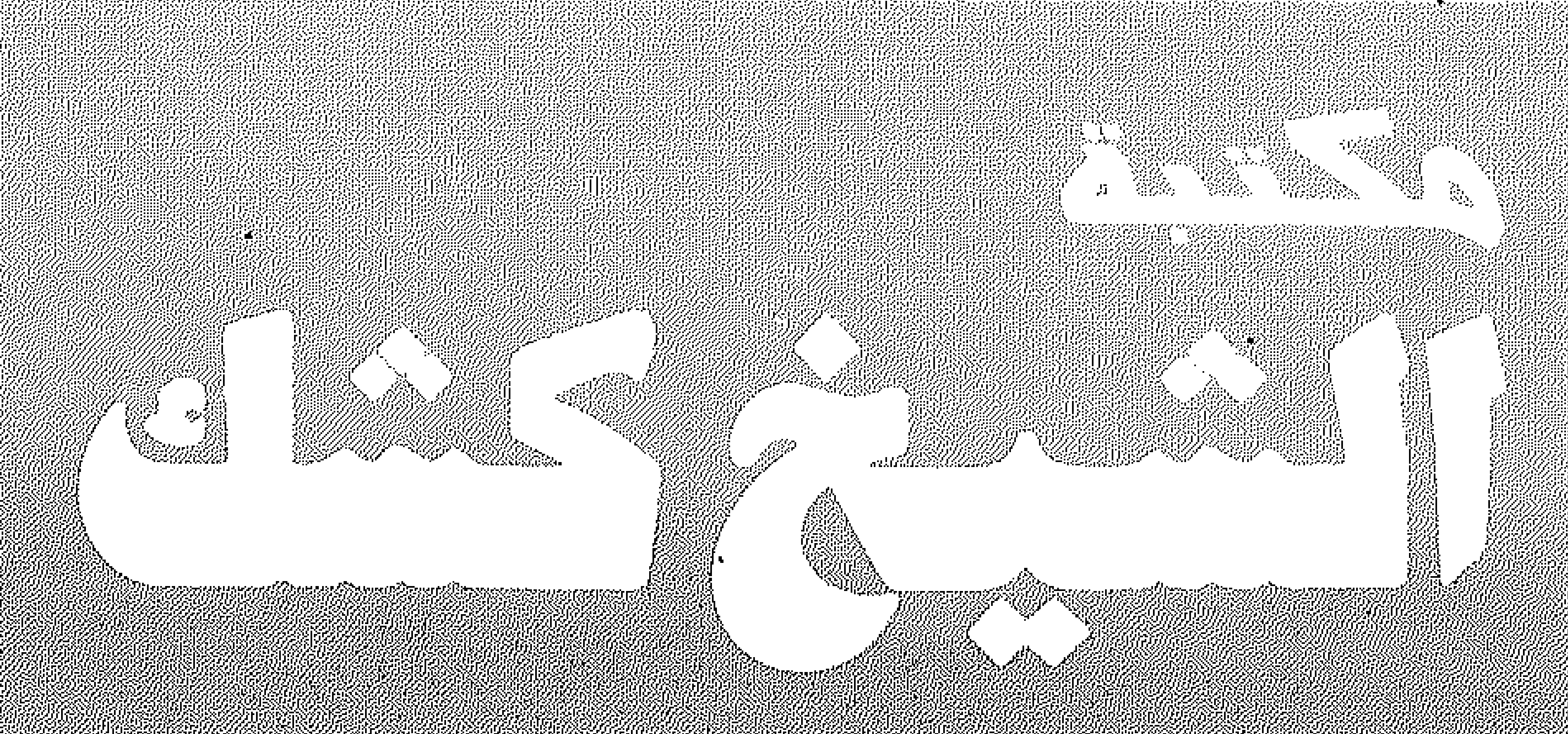
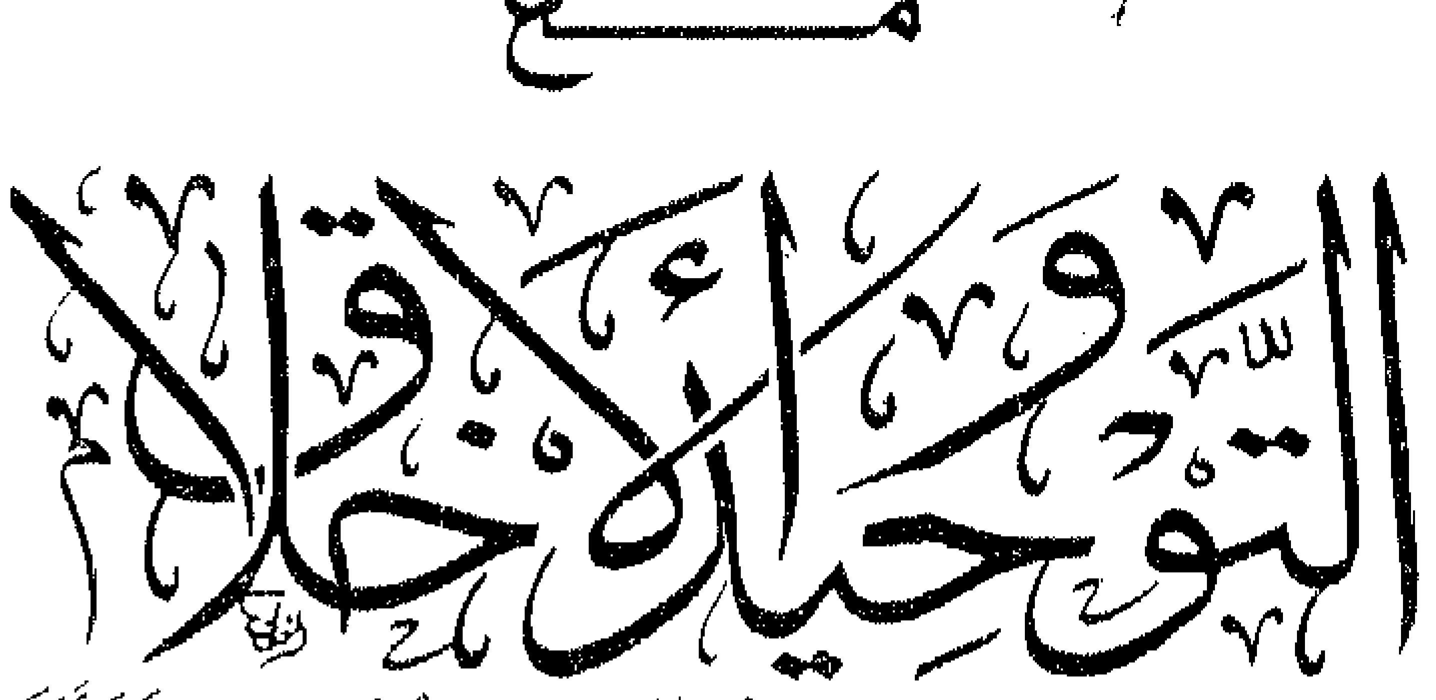
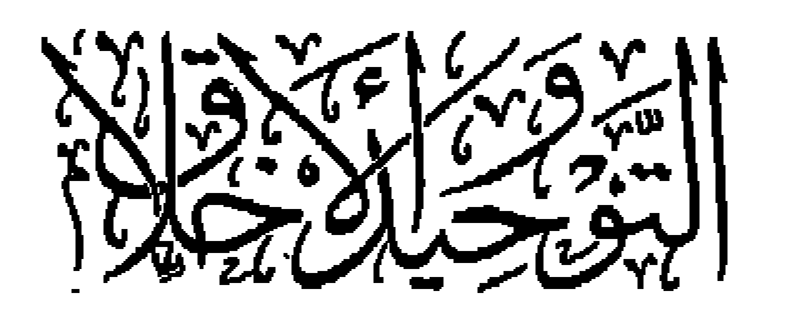


مع



« قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا
إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ . فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ
رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »

المكتب المصري الحديث


التوحيد والأخلاق

الناشر : المكتب المصري الحديث
٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة تليفون ٧٥٤١٢٧
٧ شارع نوبار بالاسكندرية تليفون ٢٦٦٠٢

عبد الحميد كشك

مع التوحيد والأخلاق

« قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »

المكتب المصري الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

بسم الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .. وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله ، مبعوث العناية الإلهية ، الذى أرسله الله رحمة للعالمين ، والذى جعله الله نوراً يستضاء به فى غياهب الظلمات ، صلى عليك الله يا علم الهدى ، ما هبت النسائم ، وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد ، فى ليلة من ليالى شهر ربيع الأول ، الذى شرف الله فيه الوجود بمولد خير البرية ، وهو الشهر الذى لحق فيه الرسول بالرفيق الأعلى ، بعدما توج الله رسالته بقوله الكريم (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

فى ليلة صفت سماؤها فى هذا الشهر المبارك ، عام ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين ، جلست أملى هذه السطور عن الرسالة العصماء لمبعوث العناية الإلهية ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ..

يشرفنى يا رسول الله أن أجلس لأقلب صفحات جهادك الكريم . الذى ربيت به رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ويشرفنى أن أبدأ هذا الكتاب بمطلع سورة الجمعة ، التى يقول فيها مولانا تبارك اسمه :

بسم الله الرحمن الرحيم (يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم . هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

تباركت ربنا وتعاليت ، فلك الحمد على ما قضيت ، ولك الشكر على ما أنعمت به علينا وأوليت .

المؤلف

الرسالة الخالدة

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) .

مع التوحيد والأخلاق يدور حديثنا فى هذا الكتاب ، ومع هؤلاء الذين آمنوا واتبعوا النور الذى أنزل مع رسول الله ﷺ ، نتحدث بلسان اليقين ، ونسأل كيف رباهم رسول الله ، وكيف كانت أخلاقهم ، وبأى السجايا اتصفوا ، وعلى أى منهج ساروا ، سائلين الله أن يرزقنا التوفيق حتى نترسم خطاهم ، ونسير على مناهجهم ، فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، كما قال الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه .

نعم لقد كانوا رجالا نشأوا على هدى الله تعالى ، واستمسكوا بالعروة الوثقى ، واعتصموا بحبل الله المتين ، ونوره المبين ، وذكره الحكيم ، فساروا على صراط مستقيم .

هذا خلق الله

ما من يوم ينشق فجره إلا والكشوف العلمية تؤكد أن الإسلام حق ، وأن القرآن الذى أنزل على رسول الله ﷺ حق لا مراء فيه .

ويسعدنى أن أستشهد فى هذا المقام بهذا المشهد الذى سجله العالم الهندى المغفور له الدكتور عناية الله المشرقى ، وهو من أعظم علماء الهند فى الطبيعة والرياضيات ، ويتمتع بشهرة كبيرة فى الغرب لاكتشافاته العديدة ، وأفكاره الجديدة ، وهو أول من عرض فكرة القنبلة الذرية قال :

« خرجت فى أحد الأيام من عام ١٩٠٩ ، وكانت السماء يومها تمطر بغزارة ، فإذا بى أرى الفلكى المشهور السير جيمس جينز الأستاذ بجامعة كمبردج .. فذهبت إليه ، ودار بينى وبينه حوار فى بعض الشئون ، أدى ذلك الحديث إلى أنه دعانى لزيارته فى بيته . وعندما وصلت إلى داره فى المساء أخبرت بأنه ينتظرنى وعندما دخلت عليه فى غرفته وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعاً عليها أدوات الشاى ، وكان البروفيسور ، منهمكا فى أفكاره . وعندما شعر بوجودى سألنى ماذا كان سؤالك ؟ ودون أن ينتظر ردى بدأ يلقى محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية ، ونظامها المدهش ، وأبعادها ، وفواصلها اللامتناهية ، وطرقها ومداراتها ، وجاذبيتها ، وطوفان أنوارها المذهلة ، حتى أننى شعرت بقلبى يهتز بهيبة الله وجلاله ، أما السير جيمس جينز فوجدت شعر رأسه قائماً والدموع تنهمر من عينيه ، ويداه ترتعدان من خشية الله ، وتوقف

فجأة ثم بدأ يقول :

« يا عناية الله ! عندما ألقى نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودى يرتعش من الجلال الإلهى . وعندما أركع أمام الله وأقول له : إنك لعظيم أجد أن كل جزء من كيانى يؤيدنى فى هذا الدعاء ، وأشعر بسكون وسعادة عظيمين ، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين الغامرة .

ويقول عناية الله مستطرداً :

إن هذه المحاضرة أحدثت طوفاناً فى عقلى وقلت له : يا سيدى لقد تأثرت جدا بالتفاصيل العلمية التى رويتموها لى ، وتذكرت بهذه المناسبة آية من كتاب الله المقدس ، فلو سمحتم لى لقرأتها عليكم .. فهز رأسه قائلا : بكل سرور . فقرأت عليه الآيتين التاليتين :

بسم الله الرحمن الرحيم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود .. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور)

فصرخ السير جيمس جينز قائلا :

ماذا قلت .. ؟

إنما يخشى الله من عباده العلماء ! ! ؟

مدهش وغريب وعجيب جداً . إن الأمر الذى كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة . من أنبأ محمداً به ؟

هل هذه الآية موجودة فى القرآن حقيقة ؟

لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة منى أن القرآن كتاب موحى به من عند الله .

ويستطرد السير جيمس جينز قائلا : « لقد كان محمد أمياً ، ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه ، ولكن « الله » هو الذى أخبره بهذا السر .. مدهش وغريب .. وعجيب جداً » .

هذه شهادة عالم من مشاهير العلماء ، تخصص فى علوم الفلك التى نطق بها القرآن الكريم فى قوله تعالى : (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

وهكذا تبين لنا من شهادته أن الإسلام يصالح العلم ويصافحه ، ولا يخاصمه أو ينفر منه .

لقد قال مولانا جل ذكره (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

(إن هذا العالم من عرشه إلى فرشه ، ومن سمائه إلى أرضه ، لامجال للصدفة فيه . فلو سألته وقلت له : من خالقك ؟ لقال لك بلسان الحال والمقال : أنا مخلوق للواحد الديان :

سل الواحة الخضراء والماء جاريا وهذى الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروض مزداناً ، سل الزهر والندى سل الليل والإصباح والطير شاديا
وسل هذه الأنسام والأرض والسما وسل كل شئ تسمع الحمد ساريا
فلو جن هذا الليل وامتد سرمداً فمن غير ربى يرجع الصبح ثانيا

واسألوا العلم وحقائقه وقولوا له : مم تتركب الأجسام الحية ؟ ..
إنه سيجيبكم بلسان اليقين قائلا :

إن الأجسام الحية تتركب من خلايا حية ، وهذه الخلية مركب صغير جداً ومعقد غاية التعقيد ، وهى تدرس تحت علم خاص يسمى « علم الخلايا » ومن الأجزاء التى تحتوى عليها هذه الخلايا : البروتين ..

والبروتين هذا مركب كيماوى من خمسة عناصر : هى الكربون ، والهيدروجين ، والنتروجين ، والأكسوجين ، والكبريت ، ويشتمل الجزئ البروتينى الواحد على أربعين ألفاً من ذرات هذه العناصر .

وفى الكون أكثر من مائة عنصر كيماوى ، كلها منتشرة فى أرجائه . فأية نسبة فى تركيب هذه العناصر يمكن أن تكون فى صالح قانون « الصدفة » ؟ أيمكن أن تتركب خمسة عناصر من هذا العدد الكبير لإيجاد « الجزىء البروتينى » بصدفة واتفاق محض ؟ إننا نستطيع أن نستخرج من قانون الصدفة الرياضى ذلك القدر الهائل من المادة الذى سنحتاجه لنحدث فيه الحركة اللازمة على الدوام ، كما نستطيع أن نتصور شيئاً عن المدة السحيقة التى سوف تستغرقها هذه العملية .

لقد حاول الرياضى السويسرى الشهير وهو الأستاذ « تشارلزيوجين جواى ، أن يستخرج هذه المادة عن طريق الرياضة ، فانتهى فى أبحاثه إلى أنه « الإمكان المحض » فى وقوع الحادث الاتفاقى الذى من شأنه أنه يؤدى إلى خلق كون إذا ما توفرت المادة هو واحد على $\frac{١٦٠}{٢}$ (أى : ١٠ × ١٠ مائة وستين مرة) وبعبارة أخرى نضيف مائة وستين صفراً إلى جانب عشرة ! ! وهو عدد هائل لا يمكن وصفه فى اللغة .

إن إمكان حدوث الجزىء البروتينى عن صدفة يتطلب مادة يزيد مقدارها بليون مرة عن المادة الموجودة فى سائر الكون حتى يمكن تحريكها وضخها وأما المدة التى يمكن فيها ظهور نتيجة ناجحة لهذه العملية فهى أكثر من $٢٠^{٢٤٣}$ سنة أى (مائتان وثلاثة وأربعون صفراً أمام عشر سنين » .

إن جزئ البروتين يتكون من سلاسل طويلة من حوامض الأمينو ، وأخطر ما فى هذه العملية هو الطريقة التى تختلط بها هذه السلاسل بعضها مع بعض ، فإنها لو اجتمعت فى صورة غير صحيحة لأصبحت سماً قاتلا بدل أن تصبح موجدة للحياة .

إن هذا الجزئ البروتينى ذو وجود « كيماوى » لا يتمتع بالحياة إلا عندما يصبح جزءاً من الخلية .. فهنا تبدأ الحياة .

وهذا الواقع يطرح أهم سؤال فى بحثنا : من أين تأتى الحرارة ، عندما يندمج الجزئ بالخلية ؟

ولا جواب عن هذا السؤال فى أسفار المعارضين الملحدين .

إن من الواضح الجلى أن التفسير الذى يزعمه هؤلاء المعارضون متسترين وراء قانون « الصدفة الرياضى » لا ينطبق على الخلية نفسها ، وإنما على جزء صغير منها ، هو الجزئ البروتينى ، وهو ذرة لا يمكن مشاهدتها بأقوى منظار بينما نعيش وفى جسد كل فرد منا ما يربو على أكثر من مئات البلايين من هذه الخلايا .

لا مجال للصدفة فى هذا الكون

يقول زعيم الملحدين جوليان هكسلى :

« لو أجلست ستة من القردة على آلات كاتبة ، وظلت تضرب على

حروفها لملايين السنين فلا نستبعد أن نجد فى بعض الأوراق الأخيرة التى كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير ! فكذلك كان الكون الموجود الآن .. نتيجة لعمليات عمياء ظلت تدور فى المادة لبلايين السنين

ويقول أهل الحق :

إن أى كلام من هذا القبيل « لغو مثير » بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان ، فإن جميع علومنا تجهل — إلى يوم الناس هذا — أية صدفة أنتجت واقعاً عظيماً ذا روح عجيبة فى روعة الكون .

إن هذا الكون لا تطرف فيه طرفة عين ، ولا تهب فيه نسمة هواء ، ولا يحدث فيه حدث كبير أو صغير إلا بإذن الله وعنايته (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) .

وقد صدق الله جل شأنه إذ يقول :

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) .

وصدق جل شأنه إذ يقول :

(إنا كل شيء خلقناه بقدر. وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) .

يقول البروفيسور : إيلوين كونكلين : إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة « حادث اتفاق » شبيه فى مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفى يقع فى مطبعة » .

* * *

وما أبرع قول أمير الشعراء شوقى :

تلك الطبيعة قف بنا ياسارى حتى أريك بديع صنع البارى
الأرض حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيـــــات والآثار
من شك فيه فنظرة فى خلقه تمحو أثيم الشك والإنكار

الكون يتحدث عن وحدانية الله

يقول تبارك وتعالى :

(أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءاً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً و جعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه . ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) .

إنها آيات تنطق بالحق ، وتسطر على وجه الكون دلائل التوحيد ، وتسجل فى صفحات الوجود الآيات القاطعة التى تدل على أن كل أثر لابد له من مؤثر .

وهذه الآثار تحدثنا بلسان الصدق ، وتنطق أمامنا بقوانين الحق .

* * *

جاء فى كتاب « الطبيعة والعلم يتحدثان عن الله » :

إن وجود الكون والنظام العجيب الذى اشتمل عليه وأسراره الدقيقة لا يمكن تفسير ذلك كله إلا بأنه قد خلقه إله عالم مريد قادر حى سميع بصير حكيم مدبر ، وأن هذا الإله القادر منزه عن العبث .

آيات ناطقة بالحكمة والقدرة

إن هذا النظام الذى يلف الكون كله نجده فى صورته الكاملة فى أصغر عالم عرفناه — فنحن نعرف — طبقاً لأحدث معلوماتنا — أن الذرة أصغر عالم ، وأنها قد تناهت فى صغرها حتى لا يمكن مشاهدتها بالمنظار الذى يكبر الأشياء ملايين المرات فهى — بناء على هذا — ليست شيئاً بل إنها « لا شىء » بالنسبة إلى أدنى ما يستطيع البصر الإنسانى أن يراه .

ولكن هذه الذرة مع ما وصفناها به تحتوى بصورة رائعة على نظام الدوران العجيب الموجود فى النظام الشمسى .

فالذرة اسم لمجموعة من الألكترونات ، وهذه الألكترونات لا يتصل بعضها ببعض ، وإنما يوجد بينها فراغ كبير الحجم نسبياً . ولنأخذ مثلا قطعة من الحديد التى توجد فيها الذرات متصلا بعضها ببعض اتصالا شديداً ، سنجد أن هذه الألكترونات لاتشغل أكثر من $\frac{1}{1,000,000,000}$ من مسافة الذرة ، وبقية المجال يكون خالياً . ولو أننا أخذنا صورة

مكبرة لجزئين من الألكترون والبروتين فسوف يكون الفاصل بينهما ما يقرب من ثلثمائة وخمسين ياردة .

والألكترون الذى هو الجزئ السلبي فى الذرة يدور حول البروتين الذى هو الجزىء الإيجابى منها .

هذا النظام الذرى يستحيل قيامه بنفسه ، ولا طريق إلى مشاهدته ، ولا يمكن تفسير عمله داخل الذرة بغير العلم . أما وقد تبناه العلم فعلا فإنه دليل قاطع على وجود منظم قائم على هذا التنظيم ، لأنه يستحيل أن يقوم هذا النظام بنفسه .

هذه بديهة عقلية لا يجادل فيها إلا كل أفاك أثيم

آية أخـــرى

(وفى أنفسكم أفلا تبصرون) صدق الله العظيم .

إننا نتحير إذا رأينا النظام المعقد لأسلاك التليفون ، ونتحير إذا وجدنا أن مكالمة من لندن إلى استراليا تتم فى بضع ثوان ، فإذا كان نظام أسلاك التليفون يوقعنا فى هذه الحيرة ، فما بالنا بنظام الجهاز العصبى وهو أوسع من هذا النظام وأشد تعقيداً ؟!

إن ملايين الأخبار تجرى على أسلاك نظامنا العصبى ، الذى أوجده الله تعالى — من جانب إلى آخر — ليل نهار .

وهذه الأخبار هى التى توجه القلب فى تدفقه وحركته ، وتتحكم فى حركات الأعضاء المختلفة ، وتتحكم فى الحركات الرئوية ، ولو لم يكن

هذا النظام موجوداً فى أجسامنا لصارت الأجسام تلفيفاً لأشياء مبعثرة تسلك كل منها مسلكها الخاص .

ومركز هذا النظام للمواصلات مخ الإنسان ، وفى هذا المخ يوجد ألف مليون خلية عصبية ، ومن كل هذه الخلايا تخرج أسلاك تنتشر فى سائر الجسم وتسمى هذه الأسلاك ، «الأنسجة العصبية » وفى هذه الأنسجة يجرى نظام استقبال وإرسال للأخبار بسرعة سبعين ميلا فى الساعة . وبواسطة هـــذه الأنسجة نتذوق ونسمع ونرى ونباشر سائر أعمالنا . وتؤدى الحواس الخمسة وظائفها على الوجه الذى أراده الخالق البارئ المصور .

قال : (فمن ربكما يا موسى ؟. قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) .

بل إن هناك ثلاثة آلاف من الشعيرات المتذوقة ، ولكل منها سلك خاص متصل بالمخ ، وبواسطة هذه الشعيرات نحس بالمذاقات المختلفة .

وتوجد فى الأذن عشرة آلاف خلية سمعية ، ومن خلال نظام معقد يسرى من هذه الخلايا يحدث السمع .

وفى كل عين مائة وثلاثون مليوناً من الخلايا الملتقطة للضوء ، تقوم بمهمة إرسال المجموعة التصويرية إلى المخ . وهناك شبكة من الأنسجة الحية على امتداد جلدنا ، فإذا قربنا إلى الجلد شيئاً حاراً فإن ثلاثين ألفاً من الخلايا الملتقطة للحرارة تحس بهذه العملية وترسلها فوراً إلى المخ . وإذا قربنا إلى الجلد شيئاً بارداً فإن ربع مليون من الخلايا

التى تلتقط الأشياء الباردة تحس به ؛ وعندئذ يمتلىء المخ بأثرها ، ويرتعد الجسم ، وتتسع الشرايين الجلدية ، فيسرع مزيد من الدم إليها ويزودها بالحرارة . وإذا أحست هذه الخلايا بحرارة شديدة فإن مخابرات الحرارة توصلها إلى الدماغ ، وحينئذ تفرز ثلاثة ملايين من الغدد العرقية — تلقائيا — عرقاً بارداً إلى خارج الجسم .

والنظام العصبى يشتمل على عدة فروع منها « الفرع المتحرك ذاتياً » ويقوم بأعمال تحدث ذاتياً فى الجسم كعملية الهضم والتنفس وحركات القلب ، ويندرج تحت هذا النوع نظامان : أحدهما « النظام المسبب للحركة » والآخر هو المانع لها . وهذا الأخير يقوم بعملية المقاومة والدفاع ، ولو ترك الأمر للنظام الأول لازدادت حركة القلب زيادة يترتب عليها موت صاحبه . ولو سيطر النظام الثانى لتوقفت حركة القلب توقفاً تاماً . وأقسام هذين النظامين تباشر أعمالها فى دقة فائقة وفى توازن تام ، ولكن هنالك حالات يزداد فيها نشاط أحد النظامين ، فالنظام الأول يتغلب عند الضغط واحتياج القلب إلى قوة مسعفة . وعندئذ تزيد سرعة عمليات القلب والرئة . والنظام الثانى يتغلب عند النوم ، فيسود السكون جميع الحركات الجسمية .

تباركت ربنا وتعاليت ، إنه صنع الله الذى أتقن كل شىء .

(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) .

أنظر إلى المرء وقل من شق فيه بصره   من ذا الذى جهزه بقوة مفتكره
ذاك هو الله الذى أنعمه منهمره   ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدره

آية الله فى المـــاء

(وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون) صدق الله العظيم .

يقول علماء الكون :

« إن العلم لا يملك أى تفسير لبعض الحقائق ، والقول بأنها حدثت « اتفاقاً» إنما يعتبر تحدياً وتصادماً مع الرياضيات » .

وإن هناك وقائع كثيرة جداً لا طريق لنا إلى فهمها أو تفسيرها إلا إذا سلمنا بأن لله اليد العليا فى إحداثها .

فمن الخصائص المهمة التى توجد فى الماء : أن كثافة الثلج تقل بنسبة كبيرة عن كثافة الماء . فالماء إذن مادة تقل كثافتها بعد التجمد ، ولهذا الأمر قيمة عظيمة بالنسبة إلى الحياة ، إذ يترتب على هذه الخاصة أن الثلج يطفو على سطح الماء ولا ينزل إلى قاع البحار والأنهار ، ولولا ذلك لتجمد الماء كله فى البحار والأنهار والخزانات المائية .

إن الثلج يقوم بدور الحاجب للماء الذى تحته كيما تبقى حرارته دون درجة التجمد ، فتبقى الأسماك والحيوانات المائية على قيد الحياة ، فإذا ما جاء موسم الربيع ذاب الثلج ، ولولا خاصة الثلج هذه لعانى سكان الأقطار الباردة الكثير من المتاعب والمصائب الناجمة عن عدم ذوبان الثلج .

وهكذا تختلف القوانين العلمية وتتناقض الحقائق المرئية ، وليس من هدف إلا قيام الحياة ، وتدبير أمورها ، وتيسير سبلها .

أليس فى ذلك الرد .. أبلغ الرد على من يقول بميكانيكية الحياة ؟!
تباركت ربنا وتعاليت يا من قلت (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) .

آية الله فى نظام الفلك

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون) صدق الله العظيم .

إن الفضاء الكونى فسيح جداً تتحرك فيه كواكب لا حصر لها بسرعة خارقة ، بعضها يواصل رحلته وحده ، ومنها أزواج تسير مثنى مثنى ، ومنها ما يتحرك فى شكل مجموعات . ولو أنك لاحظت ضوء الشمس الذى يدخل غرفتك من النافذة فسترى أن هناك ذرات كثيرة من الغبار تتحرك وتسير فى الهواء ، فلو استطعت أن تتخيل هذا فى شكل أعظم لأمكنك أن تحظى من الفهم بشىء من السيارات والكواكب فى الكون . مع الفرق الهائل المتمثل فى أن ذرات الغبار تتحرك ويتصادم بعضها مع بعض . ولكن الكواكب مع كثرتها يواصل كل واحد منها سفره على بعد عظيم يفصله عن الكواكب الأخرى ، ومثلها كمثل بواخر عديدة تمشى فى أعالى البحار متباعدة حتى إن إحداها لا تعرف شيئاً عن الأخرى .

إن هذا الكون يتألف من مجموعات كثيرة من الكواكب والنجوم تسمى « مجاميع النجوم » وكلها تتحرك دائما .

الشمس والأرض والقمر والنجوم

ولكم نتحير عندما نرفع أعيننا إلى السماء ونشاهد الكواكب والنجوم التى لا حصر لها . إن هذه الكرات السماوية التى لا تزال معلقة فى الفضاء منذ قرون لا نعرف عدتها تدور فى الفضاء الفسيح السحيق على نظام معين وهو بلا شك نظام لا مثيل له ، من الذرة إلى قطرة الماء إلى الكواكب السحيقة فى أجواز الفضاء ، نظام تستنبط على أساسه قوانين علمية .

يقول علماء الفلك « إن أقرب حركة منا هى حركة القمر التى تبعد عنا (٢٤٠,٠٠٠ ميل) وهو يدور حول الأرض .. ويكمل دورته فى مدة تسعة وعشرين يوما ونصف يوم .. وكذلك تبعد أرضنا عن الشمس (٩٣ مليون ميل) وتستكمل هذه الدائرة مرة واحدة فى سنة كاملة .

وكذلك توجد تسعة كواكب مع الأرض تسمى « العائلة الشمسية » وهى عطارد ، والمريخ ، والمشترى ، والزهرة ، والأرض ، وزحل ، وأورانس ، ونبتون ، وبلوتو ، وكلها تدور حول الشمس بسرعة فائقة . وأبعد هذه الكواكب السيارة « بلوتو » الذى يدور فى دائرة ٧٥٠٠ مليون ميل حول الشمس وحول هذه الكواكب يدور واحد وثلاثون قمراً أخرى .

وتوجد غير هذه الكواكب حلقة من ثلاثين ألفاً من النجميات وآلاف من النجوم ذوات الأذناب وشهب لا حصر لها وكلها تدور وفى وسطها ذلك السيار العملاق الذى نسميه « الشمس » ويبلغ قطرها ٨٦٥ ألف ميل ، وهى أكبر من الأرض بمليون ومائتى ألف مرة .

ثم إن هذه الشمس ليست بثابتة أو واقفة فى مكان ما .. وإنما هى يدورها مع كل هذه السيارات والنجميات تدور فى هذا النظام الرائع بسرعة ٦٠٠ ألف ميل فى الساعة .

وهناك آلاف من الأنظمة غير هذا النظام الشمسى ، يتكون منها ذلكم النظام الذى نسميه « مجاميع النجوم » أو المجرات ..

ولم يكتشف العلم إلا جانباً يسيراً يقدر بمائة ألف مليون مجموعة شمسية ، كل مجموعة تتكون من مائة ألف مليون شمس ، أصغرها شمسنا هذه .

ويقول علماء الفلك :

إن حركة الأرض حول الشمس منضبطة تمام الانضباط بحيث لا يمكن أن يحدث أدنى تغير فى سرعة دورانها حتى بعد مرور قرن من الزمان .

وهذا القمر الذى يتبع فى حركته الأرض يدور فى فلك مقرر ومنضبط مع تفاوت يسير جداً ، يتكرر بعد كل ثمانية عشر عاماً ونصف عام بدقة فائقة ، وتلك هى حال جميع الأجرام السماوية ..

ويرى علماء الفلك أيضا : أن مجرات النجوم يتداخل بعضها فى بعض ، فتدخل مجرة تشتمل على بلايين من السيارات المتحركة فى

مجرة أخرى مثلها وتتحرك سياراتها هى الأخرى ، ثم تخرج منها بسياراتها جميعاً دون أن يحدث أى تصادم بين سيارات المجرتين .

فتأمل يا أخا الإسلام أبعد هذا النظام والعناية والإتقان يقول أى جاحد إن هذا الكون وذلك النظام جاء وليد الصدفة العمياء أو الطبيعة الصماء ؟! .

(تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذى خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) .

عناية الله بالكوكب الأرضى

صدقت يا ذا الجلال والإكرام إذ تقول :

(الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماءاً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) .

وإذ تقول (وفى الأرض آيات للموقنين) .

يقول علماء الفلك : إن هذه الأرض أهم عالم عرفناه . إذ توجد فيها أحوال لا توجد فى شيء من هذا الكون الواسع ، وهى فى ضخامتها كما تبدو لنا لا تساوى ذرة من هذا الكون العظيم .

يقـــول حجة الفلك العالمي السير « جيمس جينز » فى كتـــابه « الكون الغامض » ربما كان مجموع عدد النجوم التى فى الكون قريباً من مجموع عدد حبيبات الرمل التى تغطى شواطئ البحار فى العالم كله ..

ويقول كذلك فى كتابه « النجوم فى مسالكها » يكاد يكون من المؤكد أن هناك أكثر من ٦٠ نجماً مقابل كل رجل وامرأة وطفل على وجه الأرض ، وقد يصل العدد إلى ضعف هذا ، بل ربما إلى ثلاثة أضعاف أو خمسة أمثاله .

ثم يضرب مثلا لعدد النجوم فيقول :

« يجب أن نتصور مكتبة ضخمة تحوى على الأقل نصف مليون كتاب من الحجم المتوسط ، فجميع حروف الطبع التى فى جميع صحف كل كتب هذه المكتبة عددها مساو تقريباً لعدد نجوم السماء ، وإذا كنا نطالع بسرعة صفحة فى الدقيقة مدة ثمان ساعات فى كل يوم فلابد لنا من ٧٠٠ سنة لقراءة هذه المكتبة . كذلك لو كنا نعد النجوم بسرعة ١٥٠٠ نجم فى الدقيقة لاستغرق عدنا النجوم كلها ٧٠٠ سنة».

أما الأرض التى نعيش عليها فهى أقل — أقل بكثير جداً — من نقطة على حرف فى مكتبتنا ذات النصف مليون مجلد ، أو على الأصح يجب أن نشبهها بهباءة من التراب بين صفحتين ، أى صفحتين فى أى كتاب من هذه الكتب فى هذه المكتبة .

ومن ثم تتجلى لنا الحكمة الإلهية فى خلق الأرض على هذا النحو ، إذ لو كان حجمها أقل أو أكثر مما هى عليه الآن لاستحالت الحياة فوقها ،

فلو أنها كانت فى حجم القمر مثلا بأن كان قطرها ربع قطرها الموجود فعلا لكانت جاذبيتها سدس جاذبيتها الحالية ، ونتيجة لذلك لا يمكن أن تمسك الماء والهواء من حولها كما هى الحال فى القمر الذى لا يوجد فيه ماء ولا يحوطه غلاف هوائى لضعف قوة الجاذبية فيه .

وانخفاض الجاذبية فى الأرض إلى مستوى جاذبية القمر سيترتب عليه اشتداد البرودة ليلا حتى يتجمد كل ما فيها ، واشتداد الحرارة نهاراً حتى يحترق كل ما عليها .

وكذلك يترتب على نقص حجم الأرض إلى مستوى حجم القمر أنها لن تمسك مقدارا كبيراً من الماء . وكثرة الماء أمر ضرورى لاستمرار الاعتدال الموسمى على الأرض ، ومن ثم أطلق أحد العلماء على هذه العملية لقب « عجلة التوازن العظيمة » وكذلك سيرتفع الغلاف الهوائى للأرض فى الفضاء ثم يتلاشى ويتبع ذلك أن تبلغ درجة حرارة الأرض أقصى معدلها ثم تنخفض إلى أدنى درجاتها .

وعلى العكس من ذلك إذا كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالى إذاً لتضاعفت جاذبيتها الحالية ، وحينئذ ينكمش غلافها الجوى الذى هو على بعد خمسمائة ميل إلى ما دون ذلك ، وسيترتب على هذا أن يزيد تحمل كل بوصة مربعة من خمسة عشر رطلا إلى ثلاثين من الضغط الجوى ، وهو ضغط يؤثر أسوأ الأثر فى الحياة .

ولو أن الأرض تضاعف حجمها فصارت مثل حجم الشمس مثلا لبلغت قوة الجاذبية فيها مثل جاذبيتها الحالية مائة وخمسين مرة . ولاقترب

غلافها الهوائى حتى يصير منها على بعد أربعة أميال فقط بدلا من خمسمائة ميل ، ولارتفع الضغط الجوى إلى معدل طن واحد على كل بوصة مربعة ، وذلك يؤدى إلى استحالة نشأة الأجسام الحية ، وهو من الناحية النظرية يعنى أن يصير وزن الحيوان الذى يزيد رطلا واحداً تحت الكثافة الهوائية الحالية خمسمائة رطل ، كما يهبط حجم الإنسان حتى يصير فى حجم فأر كبير ، ولاستحال وجود العقل فى الإنسان لأنه لابد للعقل الإنسانى من أنسجة عصبية كثيرة فى الجسم ، ولايوجد هذا النظام إلا إذا كان حجم الجسم بقدر معين .

فتبارك الله احسن الخالقين ...

أبعد هذا النظام والعناية والإتقان يقول قائل .. إن هذا الكون وليد الصدفة العمياء ، أو الطبيعة الصماء ؟

(آلم تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون : أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم) .

يا اخا الاسلام :

أنظر إلى الشمس التى جذوتها مستعره ... فيها ضياء وبها حرارة منتشره
من ذا الذى أوجدها فى الجو مثل الشرره ... ذاك هو الله الذى أنعمه منهمره

ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدره وانظر إلى الليل فمن أوجد فيه قمره
وزانــه بأنجـم كالدرر المنتثره ذاك هو الله الذى أنعمه منهمره
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدره

حقيقــة علميــة

صدق الله تعالى إذ يقول :

(فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون) .

يقول الدكتور « الكسيس كيرل » :

« إن الكون الرياضى شبكة عجيبة من القياسات والفروض لاتشتمل على شيء غير « معادلة الرموز » الرموز التى تحتوى على مجردات لاسبيل إلى تفسيرها . والعلم الحديث لا يدعى ولا يستطيع أن يدعى أن الحقيقة محصورة فيما علمناه من التجربة المباشرة ، فالحقيقة أن « الماء سائل » ونستطيع مشاهدة هذه الحقيقة بأعيننا المجردة ، ولكن الواقع أن كل (جزىء) من الماء يشتمل على ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأكسجين . وليس من الممكن أن نلاحظ هــذه الحقيقة العلمية ، ولو أتينا بأقوى ميكروسكوب فى العالم ، غير أنها ثبتت لدى العلماء لإيمانهم بالاستدلال المنطقى » .

ويقول البروفسور ا . ى . مانديز :

« إن الحقائق التى نتعرفها مباشرة تسمى « الحقائق المحسوسة » غير أن الحقائق التى توصلنا إلى معرفتها لا تنحصر فى الحقائق المحسوسة ،

فهناك حقائق أخرى كثيرة لم نتعرف عليها مباشرة ، ولكننا عثرنا عليها على كل حال ، ووسيلتنا فى هذه السبيل هى الاستنباط ، فهذا النوع من الحقائق هو ما نسميه « بالحقائق المستنبطة » ، والأهم هنا أن نفهم أنه لا فرق بين الحقيقتين ، وإنما الفرق هو فى التسمية من حيث تعرفنا على الأولى مباشرة وعلى الثانية بالواسطة ، والحقيقة دائما هى الحقيقة ، سواء عرفناها بالملاحظة أو بالاستنباط » .

ويضيف ماندير قائلا :

« إن حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل ، فكيف يمكن أن نعرف شيئا عن الكثير الآخر ؟ .

فالكون كله مرتبط بعضه بالآخر ، حقائقه متطابقة ، ونظامه عجيب ، ولهذا فإن أية دراسة للكون لا تسفر عن ترابط حقائقه وتوازنها — هى دراسة باطلة » .

ويقول ماندير فى هذا الصدد :

« إن الوقائع المحسوسة هى أجزاء من حقائق الكون ، غير أن هذه الحقائق التى ندركها بالحواس قد تكون جزئية وغير مرتبطة بالأخرى . فلو طالعناها منفردة مجردة عن أخواتها فقدت معناها مطلقاً ، أما إذا درسناها فى ضوء الحقائق الكثيرة مما علمناه مباشرة أو بلا مباشرة فإننا سندرك حقيقتها » .

ثم يأتى بمثال سليم يفسر ذلك فيقول :

« إننا نرى أن الطير عندما يموت يقع على الأرض ، ونعرف أن

رفع الحجر على الظهر أصعب ويتطلب جهداً . ونلاحظ أن القمر يدور فى الفلك ، ونعلم أن الصعود فى الجبل أشق من النزول منه . ونلاحظ حقائق كثيرة كل يوم لا علاقة لإحداها بالأخرى ظاهراً ، ثم نتعرف على حقيقة استنباطية هى « قانون الجاذبية » ، وهنا ترتبط جميع هذه الحقائق فنعرف للمرة الأولى أنها كلها مرتبطة إحداها بالأخرى ارتباطاً كاملا داخل نظام . وكذلك الحال لو طالعنا الوقائع المحسوسة مجردة فلن نجد بينها أى ترتيب ، فهى متفرقة . وغير مترابطة ، ولكن حين ترتبط الوقائع المحسوسة بالحقائق المستنبطة فستخرج صورة منظمة للحقائق » .

إن قانون « الجاذبية » و « الأثير » و « المغناطيسية » « والكهربية » لا يمكن ملاحظتها قطعاً بطريق الحس ، وإنما لاحظ العلماء أشياء أخرى اضطروا لأجلها — منطقياً — أن يؤمنوا بوجود هذه الحقائق والقوانين .

وهذه الحقائق والقوانين تلقى قبولا علمياً عظيما .

إن نظرية معقدة غير مفهومة ولا طريق إلى مشاهدتها تعتبر اليوم بلا جدال حقيقة علمية ! !

لماذا ؟ لأنها تفسر بعض ملاحظاتنا . فليس بلازم إذن أن تكون الحقيقة هى ما علمناه مباشرة بالتجربة ، ومن ثم نمضى إلى القول بأن العقيدة الإلهية التى تربط بعض ما نلاحظه وتفسر لنا مضمونه العام — تعتبر حقيقة علمية من نفس الدرجة .

وقد صدق الله تبارك وتعالى إذ يقول (آلم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) .

أبعد هذا البيان الذى نطقت به الحقائق العلمية ، وصاحت بأعلى صوتها تقول : إن للكون إلهاً حكيما عليما مريداً قادراً .

أبعد هذا يسأل سائل فيقول أين الله ؟

إن قال ذلك فإن الله تبارك وتعالى يقول: (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير) .

ويقول : (سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) .

إن قالوا أين الله ؟ فإن الله يقول لهم : (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) .

وقد صدق الله تعالى إذ يقول :

(لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى) .

(لا تحزن إن الله معنا)

(إن معى ربى سيهدين)

(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

فإن قالوا فلم لا نراه ؟

فإن الله يقول لهم (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) .

وإن العلم يقول لهم : وهل كل ما فى الكون من حقائق أدركته الأبصار ؟

هل رأينا بأبصارنا الأشعة فوق البنفسجية أو تحت الحمراء ؟

هل رأت أبصارنا قانون الجاذبية ؟ .. ما شكل الأثير ؟ ما وزنه؟ ماحجمه ؟ وهو يملأ الدنيا طولا وعرضاً ؟ ما حقيقة الضوء والكهرباء ؟

عرفت كل هذه بآثارها ولم نقف على حقيقتها بأبصارنا .

فإذا كانت هذه المخلوقات التى سبق ذكرها لا تدركها أبصارنا ، فإن خالقها وهو الله أكبر وأعظم وأجل من أن تدركه أبصار لها طاقة محدودة .

يرحم الله أبا بكر رضى الله عنه وقد قيل له : يا أبا بكر بم عرفت ربك ؟ فقال : عرفت ربى بربى ، ولولا ربى ما عرفت ربى .

قيل له : فكيف عرفته ؟ فقال : العجز عن الإدراك إدراك ، والبحث فى ذات الله إشراك .

ويرحم الله الإمام على بن أبى‌طالب وقد قيل له : يا إمام ، هل رأيت ربك ؟ قال : وكيف أعبد ما لا أرى ؟ قيل له : فكيف رأيته ؟ قال رضى الله عنه : إن كانت العيون لا تراه بمشاهدة العيان ، فإن القلوب تراه بحقيقة الإيمان .

سبحانك ربى يا من تنزه عن الشريك ذاته ، وتقدست عن مشابهة الأغيار صفاته بالبر معروف ، وبالإحسان موصوف ، معروف بلا غاية ، وموصوف بلا نهاية ، علم ما كان وعلم ما يكون ، وعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون .

قيل للإمام مالك بن أنس رضى‌الله عنه : ما معنى قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى ؟ فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، لأنه تعالى كان ولا مكان ، وهو على ما كان قبل خلق المكان ، لم يتغير عما كان .

أبعد كل هذه الحقائق يقول قائل : إن هذا النظام وتلك العناية وذلك الإتقان وهذا الكون أتى وليد الصدفة العمياء أو الطبيعة الصماء ؟

سبحانك ربى يا من قلت (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم. إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يؤمنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء

من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون . ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم . وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين . من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم . هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) .

من عناية الله بعباده

(قل أأنتم أعلم أم الله) ؟

(والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

من عنايته جل جلاله بعباده أنه أحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ، وفى هذا المقام مراتب لا تحصى ، ومواضع لا تستقصى ، نذكر منها على وجه المثال : ما جاء فى قوله تعالى : (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) .

يقول علماء التغذية :

إن قائمة الأغذية التى بينها لنا القرآن تحرم « الدم » وكان الإنسان غافلا عن أهمية هذا التحريم ، ولكن التحليلات التى أجريت للدم قد أكدت أن هذا القانون كان مبنياً على أهمية خاصة بالنسبة إلى الصحة . فالتحليل يثبت أن الدم يحتوى على كمية كبيرة من « حمض البوليك »

وهو مادة سامة تضر بالصحة لو استعملت غذاء ، وهذا هو السر فى الطريقة الخاصة التى أمر بها القرآن الكريم فى ذبح الحيوانات فى قوله جل شأنه (إلا ماذكيتم) والمراد من الذبح فى المصطلح الشرعى هو الذبح بطريقة معينة حتى يخرج سائر الدم من جسم الحيوان بأن نقطع الوريد الرئيسى الذى يوجد فى العنق ، وحتى يمكن استمرار علاقة المخ بالقلب إلى أن يموت الحيوان ، وحتى لا يكون سبب الموت الصدمة العنيفة التى وجهت إلى أحد أعضاء الحيوان الرئيسية ، كالدماغ أو القلب أو الكبد . والمتصور من هذا هو أن الدماء تتجمد فى العروق وتسرى إلى أجزاء الجسم لو مات الحيوان فى الحال — على أثر صدمة عنيفة . وهكذا يتسمم اللحم كله نتيجة سريان « حمض البوليك » فى أنحائه .

لحـــم الخنزير

ولقد حرم القرآن لحم الخنزير ، ولم يعرف الإنسان فى الماضى شيئاً من أسرار هذا التحريم ، ولكنه يعرف اليوم أن لحم الخنزير يسبب أمراضاً كثيرة ، لأنه يحتوى أكبر كمية من « حمض البوليك » دون سائر الحيوانات على ظهر الأرض ، أما الحيوانات الأخرى غير الخنزير فهى تفرز هذه المادة بصفة مستمرة عن طريق البول . وجسم الإنسان يفرز تسعين فى المائة من هذه المادة بمساعدة الكليتين ، ولكن الخنزير لا يتمكن من إخراج « حمض البوليك » إلا بنسبة ٢٪ فقط ، والكمية الباقية تصبح جزءاً من لحمه ، ولذلك يشكو الخنزير من آلام المفاصل ،

والذين يأكلون لحمه هم الآخرون يشكون من آلام المفاصل ، والروماتزم ، وما إلى ذلك من الأمراض المماثلة .

وهناك علل أخرى ترجع إلى أن الخنزير حيوان قذر يأكل النجاسات ، كما أنه حيوان يتصف بطبائع عارية عن الحياء فى تزاوجه بالإضافة إلى ما يتعرض له من إصابة بعدد كبير من الطفيليات التى تصيب الإنسان كذلك من الفيروسات مثل فيروسات مرض الكلب والحمى الصفراء والسبيركينات الذى يسبب مرض (حمى العقل) .

الإيمان طمأنينة وأمان

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) .

إن الإيمان يبعث فى النفس الطمأنينة والسكينة والأمان ، وليست السعادة فى انتشاء الكئوس المترعة ، أو الاستمتاع بالغيد الأماليد ، إنما السعادة الحقيقية التى ننشدها تتمثل فى رضا الله عن عبده .

قال الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون عندما تولى حكم الولايات المتحدة :

« إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعانى أزمة مادية ، لقد وجدنا أنفسنا أغنياء فى السلع ولكننا فقراء فى الروح ، تصل فى قرب عظيم إلى القمر ، ونسقط فى خلاف حاد على الأرض » .

هذا رئيس أكبر دولة فيها ناطحات السحاب ، ووسائل التقدم المادى ، وهى فى نفس الوقت فيها أكبر نسبة من المرضى بالأعصاب وأمراض النفس لأن المـــادة حجبتها عن معرفة خالق الأكوان تبارك وتعالى الذى يقول :

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

إن الله وحده هو الذى يستطيع إنقاذ المجتمع والفرد من التناقض الكبير ، والسير بهما فى طريق الرخاء والسعادة المتبادلة ، لقد تقدم الطب الحديث والجراحة إلى أقصى حدودها فى هذا القرن ، وبدأ الأطباء يقولون إن العلم يستطيع القضاء على كل مرض غير « الموت والشيخوخة » ولكن الأمراض تكثر وتتشعب وتنتشر بسرعة مذهلة ، ومنها « الأمراض العصبية » التى هى نتائج أعراض التناقض الشديد الذى يمر به الفرد والمجتمع .

لقد حاول العلم الحديث أن يغذى كل الجوانب المادية فى الجسم الإنسانى ولكنه فشل فى تغذية الشعور والأمانى والإرادة ، وكانت حصيلة ذلك جسما طويل القامة ممتلئ النواحي ، ولكن الجانب الآخر من الجسم وهو أصل الإنسان أصبح يعانى من أزمات لا حد لها .

لقد أكدت إحصائية : إن ثمانين فى المائة من مرضى المدن الأمريكية الكبرى يعانون أمراضاً ناتجة عن الأعصاب من ناحية أو أخرى .

ويقول علماء النفس الحديث : إن من أهم جذور هذه الأمراض النفسية : الكراهية ، والحقد ، والجريمة ، والخوف ، والإرهاق ، واليأس ، والترقب ، والشك ، والأثرة ، والانزعاج من البيئة ، وكل هذه الأعراض تتعلق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان بالله .

إن هذا الإيمان بالله يمنح الإنسان يقيناً جباراً حتى يستطيع مواجهة أعتى المشكلات والصعاب ، وقد صدق الله تعالى إذ يقول :

(إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخـــذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) .

إن المؤمن بالله يجاهد فى سبيل هدف سام أعلى ، ويغض بصره عن الأهداف الدنيئة القذرة .

إن الإيمان بالله يعطى الإنسان قوة هى أساس سائر الأخلاق الطيبة ، ومصدر قوة العقيدة .. العقيدة التى عبر عنها القرآن الكريم فى قوله جل شأنه (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) .

إن عقيدة الإيمان إذا تمكنت من القلب تحرك الجبال ، وتسير العوالم : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم

فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

يقول السير وليام أوسلر :

« إن الإيمان بالله قوة محركة عظيمة لا توزن بأى ميزان ولا يمكن تجربتها فى المعامل » .

إن هذه العقيدة هى سر مخزن الصحة النفسية الموفورة التى يتمتع بها أصحابها ، وأية نفسية محرومة من هذه العقيدة لن تنتهى إلا بالأمراض أقساها وأعتاها .

وقد صدق الله تعالى إذ يقول : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) .

وإذ يقول : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء مقدراً) .

الـــدواء النـــاجع

ما من شك فى أن الدواء الناجع والعلاج الناجح يتمثل فى قول الله تبارك وتعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا) .

وما أدراك ما السكينة ؟ ملكة ربانية إذا حلت فى النفس ملأتها هدوءاً واستقراراً ورضاً كما أخبر بذلك مبعوث العناية الإلهية فى قوله « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

إن من سوء الطالع ونكد الحظ أن علماء النفس يبذلون كل ما يمكنهم من الجهود فى الكشف عن أمراض نفسية وعصبية جديدة، ولكنهم فى نفس الوقت يهملون بذل الجهود للوصول إلى علاج هذه الأمراض . وهذه الظاهرة المزعجة تثير شعورا كئيباً بأن هؤلاء العلماء قد أخفقوا فى الميدان الأخير ، ولذلك أكبوا على الميدان الأول يسترون خيبتهم ، ويظهرون بطولتهم أمام العالم .

إن العالم المادى الحديث يسير فى اتجاهين فى وقت واحد ، فهو يحاول من جهة الحصول على مبيع الكماليات المادية ، على حين يتسبب — لتركه الإيمان بالله ورسوله — فى خلق أحوال تجعل من الحياة جحيما لا يطاق .. إنه يعطيك دواء الشفاء من الفم ، ويحقنك السم فى العضل .

يقول الدكتور « بول أرنست » :

« تعرفت أثناء دراستى بالكلية الطبية على التغييرات التى تطرأ على أنسجة الجسم بعد الإصابة بالجراح ، وشاهدت أثناء التجارب بالمنظار المكبر أن أعراضاً محددة تطرأ على هذه الأنسجة مما يؤدى إلى اندمال الجروح وشفائها وعندما أصبحت طبيباً بعد إتمام دراستى كنت مقتنعاً بكفاءتى وأننى أستطيع أن أحقق نتيجة موفقة بالتأكيد باستعمال الوسائل الطبية اللازمة ، ولكن سرعان ما أصبت بصدمة كبيرة حيث فرضت علىّ الظروف أن أشعر أننى أعرضت عن أهم عنصر فى علم الطب ألا وهو : « الله » .

كانت بين المرضى الذين كنت مشرفاً على علاجهم فى المستشفى عجوز فى السبعين من عمرها ، أصيب أعلى فخذها بصدام ، وأكدت صورة الأشعة أن أنسجة جسمها تلتئم بسرعة ، فقدمت لها تهنئاتى لسرعة شفائها ، وأشار لى كبير الجراحين : أن أطلب منها العودة إلى بيتها بعد ٢٤ ساعة لأنها استطاعت أن تمشى دون أن تستند إلى شيء .

وكان ذلك يوم أحد حين جاءت ابنتها تزورها على عادتها الأسبوعية فقلت لها إن والدتك تتمتع بصحة جيدة الآن ، وعليك أن تحضرى غداً لترافقيها إلى البيت ، ولم تلفظ الفتاة بشيء أمامى ، بل توجهت إلى أمها وقالت لها : إنه تقرر بعد مشورة زوجها أنهما لن يستطيعا تدبير عودتها « الأم » إلى بيتهما ، وخير لها الآن أن تنظم لها سكنى بإحدى « دور العجزة » وبعد بضع ساعات مررت بسرير العجوز فشاهدت أن انهياراً سريعاً يطرأ على جسمها ، ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى ماتت العجوز لا بسبب فخذ مكسور بل جراء قلب كسير .

وقد حاولت أن أقوم بجميع الإسعافات اللازمة لإنقاذها ، ولكن حالتها لم تتحسن ، كانت عظام فخذها المكسورة قد تحسنت كثيرا ، ولكنى لم أجد علاجا لقلبها الكسير . أعطيتها كل ما عندى من الفيتامينات والمعادن ووسائل التئام العظم المكسور ، ولكن العجوز لم تستطع أن تنهض مرة أخرى ، لقد أنجبرت عظامها دون شك ، وكانت تملك فخذاً قوية ولكنها لم تقو على الحياة ، لأن ألزم عنصر لحياتها لم يكن الفيتامينات والمعادن ولا انجبار الكسر ، وإنما كان « الأمل » الأمل

الذى تعيش على ضوئه .. فمتى ذهب الأمل فى الحياة ذهبت معه الصحة » .

* * *

هذا المثال يعطينا صورة من التناقض الذى يعانى منه العالم فى كل جانب من جوانب حياته ، فالعالم يحاول اليوم بكل قوة أن تمحى الأحاسيس والمشاعر الدينية من قلوب الناس ، وهو فى هذه المحاولة يسعى إلى نهضة الإنسان متجاهلا (الروح) عنصره الأصلى .

لقد صدق الله تعالى إذ يقول :

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

وصدق مبعوث العناية الإلهية إذ يقول :

« اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

ويرحم الله فيلسوف الإسلام محمد إقبال إذ يقول :

إذا الإيمان ضاع فلا أمـــان ولا دنيا لمن لم يحى دينـــا
ومن رضى الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لهـــا قرينا

تأملات وتنبيهات

(ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون) .

(قصدت بهذا الفصل أن ألفت أنظار المعارضين والمعاندين أن يرفعوا عن أعينهم العصابة السوداء ، ويخلصوا قلوبهم من الأغلفة الحاجبة للرؤية الحقيقية حتى يستطيعوا أن يروا الأشياء كما هى) .

قال تعالى : (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً . الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً) .

فيما مضى من الأقوال والقضايا العالمية كان العقل يتجول من عالم الحياة ، إلى عالم الأفلاك إلى عالم الجماد ، إلى العوالم المختلفة ، يتأمل آيات الله وقدرته الفائقة وعلمه المحيط الشامل ، ولم يسع الإنسان إلا أن يسجد اعترافاً لله بأنه خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل .

ومهما جال العقل وصال ، وكتب القلم وأراق المداد ، فما هو إلا كشعاع الشمس المتسلل من حنايا النافذة بالنسبة لآيات الله (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) .

سبحانك يا نافخ الأرواح فى الأجساد فى عالم الأرحام . سبحانك.. وجل شأنك يا قابض الأرواح من الأشباح عند الممات . نرجو غفرانك .

(ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم . ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير) .

أدعو كل متشكك أو منكر أو جاحد إلى أن يقوم لله يتفكر بعقل مجرد من العصبية والتقليد الأعمى ، وأن يقلب الطرف فى هذا المشهد القرآنى الرائع من سورة النحل :

قال تعالى : (أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ، ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون . خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون. خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين . هو الذى أنزل من السماء ماءاً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا

منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) .

صدقت يا خالق الأكوان ، يا مبدع الإنسان ، يا من خلقت الإنسان وعلمته البيان ، وجعلت الشمس والقمر بحسبان ، ولعظمة جلالك النجم والشجر يسجدان .

فى هذا النص الكريم آيات حق من الرحمن الرحيم ، تدل على أنه صاحب العزة القائمة ، وصاحب المملكة الدائمة . إنها آيات تنتشر فى الكون كله تأخذ بيد العاثرين الحائرين ، وتهتف بهم قائلة إن الأثر يدل على المؤثر ، وتشرح هذه القضية ، فى أربعة مبادئ : الأول الترابط ، والثانى التكوين ، والثالث العناية ، والرابع الإتقان.

لا يمكن أن يكون الترابط بين عناصر الكون وليد الصدفة العمياء ، أو الطبيعة الصماء ، ولا يعقل أن يكون تكوين المكونات وليد الصدفة العمياء أو الطبيعة الصماء .

ولا يستساغ بأى حال أن تكون العناية القائمة فى الخلق وليد الصدفة العمياء أو الطبيعة الصماء .

ولا يجوز بأى وجه أن يكون الإتقان والنظام وليد الصدفة العمياء ولا الطبيعة الصماء .

إنه الله .. العليم القدير ..

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً) .

يقول الأستاذ « أ . كريس موريسون » رئيس أكاديمية نيويورك للعلوم :

« إن الاحتشام والاحترام والسخاء وعظمة الأخلاق والقيم والمشاعر السامية وكل ما يمكن اعتباره « نفحات إلهية » لا يمكن الحصول عليها من طريق الإلحاد .

فالإلحاد نوع من الأنانية حيث يجلس الإنسان على كرسى الله . لسوف نقضي هذه الحضارة بدون العقيدة والدين . سوف يتحول النظام إلى فوضى . سوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتمسك .

سوف يتفشى الشر فى كل مكان . إنها لحاجة ملحة أن نقوى من صلتنا وعلاقتنا بالله » .

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .

صلى عليك الله يا علم الهدى ، ماهبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

سئلت أم المؤمنين عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن .

إن الله تعالى اطلع على قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاختاره لرسالته ، ثم اطلع على قلوب العباد بعده فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبته ، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن .

وإذا كان خُلق رسول الله ﷺ القرآن ، فلنبين المبادئ الأخلاقية التى وصف الله بها المؤمنين الصادقين ، وذلك بما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير .

إننى أخط سطور هذا الموضوع لما له من أهمية عظمى فى الدعوة إلى الله والأخذ بيد العاثرين فى متاهات الحياة ، المضللين بالفلسفات المادية الفارغة الجوفاء .. ولقد طال بحثى فى هذا الموضوع فلم أجد ما أسترشد به فى متاهات هذه الدنيا وفى خضمها المتلاطم إلا ذلك الإنسان الكامل ، والمثل الأعلى مبعوث العناية الإلهية رسول الله ﷺ ، ولذلك فإننى سأبحث جانب القدوة فى رسول الله ، عسى أن ينفع الله بما كتبت ، وعسى أن ينفعنا الله بما نقرأ . وسوف يدور هذا البحث حول قول الله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

إن هذه الأسوة الحسنة هى القدوة العملية ، فيوم يكون هناك علم يصدقه العمل ، فتلك تجارة لن تبور ، وسوق لا يطرأ عليها الكساد . أما يوم أن تحدث فجوة بين الكلام والسلوك ، فذلك هو الضلال البعيد .

نعم إننا سنركز تركيزا موضوعياً ومنهجياً حول شخص رسول الله ﷺ لنقف على حقيقتين : القدوة والأخلاق ، وسوف نجد ما تطمئن به قلوبنا ، وتسمو به أرواحنا ، وننتفع به فى ديننا ودنيانا ، وعاجلنا وآجلنا ، وبالله التوفيق .

مقارنة بين عصرين

كان المسلم فى العصر الأول بعد أن بزغ فجر الإسلام ، عالماً ، وزاهداً ، وعابداً ، ومقاتلا ، وداعياً إلى الله ، وجريئاً ، وصريحاً ، وحكيما ، وفطنا ، ومدركا لشئون دينه ودنياه . وبالجملة كان موسوعة إسلامية جمعت بين شئون الدين والدنيا ، كان صورة صادقة للإسلام الكامل الذى لا يقبل التجزئة ولا يعتريه الانفصام . وقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

لقد خلف من بعد هؤلاء خلف أخذوا من الإسلام جوانب وتركوا جوانب أخرى ، واستسهلوا نواحى وأهملوا أخرى ، فالعالم بالفقه قد يغفل غيره من النواحى ، والمقاتل قد ينسى واجب الجهاد فى الإسلام ، وتاريخ المسلمين فى الفتوح ، وتحرير الشعوب ، ولذلك قصدنا أن نسجل على تلك الصفحات ما نبرز به الصورة المتكاملة والحقيقية للشخصية الإسلامية : كتاب الله وسنة رسوله . وهدفنا أن تكون هذه الدراسة المقصود بها التطبيق العملى حتى تؤتى أكلها ، وتثمر ثمرتها المرجوة ، فإن الله تعالى أثنى على قوم بقوله (فبشر عباد .

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) .

كان رسول الله قرآنيا

إذا كانت أم المؤمنين عائشة قد أخبرت بأن خلق رسول الله كان القرآن فإننا لابد أن نسلط الأضواء على بعض الجوانب التى تتعلق بكتاب الله ، حتى تكون المعالم واضحة ، والمناهج مركزة الجوانب .

إن هذا الكتاب لاشك أنه من عند الله ، يؤكد هذا المعنى قول الله تعالى :

(وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقو النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) .

فواجب الإنسان أن يتبع هذا الكتاب . يحل حلاله ويحرم حرامه ، وليس له فى ذلك اختيار ، إنما هو ملتزم بذلك حتى لا يضل عقله أو تزل قدمه (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) .

وقال سبحانه وتعالى : (المص كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) .

الأمر فى قوله تعالى : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) يفيد الوجوب الحتمى لا يحتمل فى ذلك تأويلا ولا تبديلا . والنهى فى قوله تعالى : (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يفيد التحريم والتحذير والمنع ، لا يحتمل غير هذا المعنى .

وليس للإنسان إذا أراد الحق إلا هذا الطريق ، ولن يكون مستقيما أو على صراط مستقيم إلا بهذا القرآن .

(قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل) .

وإذا كان القرآن هو الحق كما قال تعالى : (تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق) فليعلم الناس جميعاً أن ليس بعد الحق إلا الضلال ، فمن رفض هذا الحق فقد اتبع هواه .

قال الله تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون) .

وقال جل شأنه : (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) .

ولا يعرض عن القرآن ، ولا يتنكب سبيله ، ولا يجحد به إلا جاهل ، إذ هو العلم الذى لا جهل معه ولذا قال ﷺ « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم » ثم تلا قوله تعالى : (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) .

نعم . إن القرن هو العلم الصحيح ، وهو الحق الصريح . قال تعالى : (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) .

وقال جل شأنه (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد) .

ومن رحمة الله تعالى بخلقه أنه جعل القرآن كتاباً عالمياً لا يختص بشعب دون شعب ، ولا بأمة دون أمة ، وأكد الله هذا المعنى فى آيات كثيرة عندما خاطب البشرية قائلا (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) .
(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) .

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) .

ومن فضله تعالى أنه جعل النبى الذى أنزل عليه القرآن نبياً عالمياً لا يختص بأمة أو شعب (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً) (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً) (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً

لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) .

والمراد بداعى الله هو نبي الله محمد المبعوث رحمة للعالمين .

(قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) .

ولذا جاء الخطاب فى سورة الرحمن موجهاً إلى الثقلين الجن والإنس لعموم الرسالة المحمدية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) .

تحذير وارشـــاد

ألا فليعلم المسلمون أن الكافرين وأعداء الإسلام يبذلون أقصى الجهود فى سبيل فتنة المسلمين عن كتاب ربهم ، وصرفهم عن اتباعه ، وعن الإيمان بالله ورسوله . قال تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) .

وقال جل شأنه : (ودُّوا لو تدهن فيدهنون) .

وقال تبارك اسمه : (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) .

وقال سبحانه : (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم) .

وقال عز وتقدس (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السماوات والأرض والله على كل شىء شهيد) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك ، مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروا ، إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه » .

فضل تلاوة القرآن

قال الله تبارك وتعالى : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) .

وقال جل شأنه : (يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) .

فعلى المسلم أن يديم تلاوة كتاب الله ، فقد كانت تلاوته دأب الصحابة وعملهم الدائم .. نظر الله إليهم فى جوف الليل فوجد أصلابهم منحنية على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية تبشر بالجنة يبكى شوقاً إليها ، فإذا مر بآية تنذر من عذاب النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه .

جاء فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص : قلت : « يا رسول الله فى كم أقرأ القرآن ؟ قال : اختمه فى شهر . قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه فى خمسة عشر . قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : اختمه فى عشر . قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه فى خمس . قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك ، فما رخص لى » .

وفى رواية « فإنه لا يفقه من قرأه فى أقل من ثلاث » .

ومن العبارة الأخيرة عنه عليه السلام نفهم أن التلاوة ينبغى آن يرافقها فقه وتدبر وتذكر . قال تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) .

نفحات مبـــاركة

يرحم الله الإمام الشاطبي إذ يحدثنا عن فضل القرآن فيقول:

وخير جليس لا يمل حديثه　　وترداده تزداد فيه تجملا
وحيث الفتى يرتاع فى ظلماته　　من القبر يلقاه سنا متهللا
يناشد فى إرضـــائه لحبيبه　　وأجدر به سوٌلا إليه موصلا
فيا أيها القارئ به متمسكا　　مجلّا له فى كل حال مبجلا
هنيئاً مريئاً والداك عليهما　　ملابس أنوار من التاج والحلى

وهذه نفحات مباركة تأتينا على لسان رسول الله ﷺ تضئ لنا الطريق الذى يسلكه المؤمن فى قراءة القرآن .

روى مسلم عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ « اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤا الزهراوين : البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان على صاحبهما ، اقرؤا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة[1] .

---

(١) البطلة : السحرة .

وللترمذى عن ابن عباس قال رجل : « يارسول الله أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الحالّ المرتحل . قال : وما الحال المرتحل ؟ قال : الذى يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حلّ ارتحل » .

وروى الترمذى عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ :

« ومن قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف» .

وفى الحديث القدسى الجليل عن رب العزة : « من شغلته قراءة القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » ..

وروى مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان ؟ قلت : نعم . قال : فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم فى صلاة خير له من ثلاث خلفات عظام سمان) .

وروى البخارى وأبو داود والترمذى عن عثمان عن رسول الله ﷺ « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » .

وللترمذى وأبى داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص يرفعه : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى دار الدنيا. فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها » .

وللترمذى عن على عن رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار » .

وروى الترمذى عن رسول الله ﷺ « تعلموا القرآن واقرأوه وقوموا به ، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح بريحه كل مكان ، ومثل من تعلمه ويرقد وهو فى جوفه كمثل جراب أوكى على مسك » .

وروى الإمام أحمد عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبى ﷺ « أنهم كانوا يأخذون منه ﷺ عشر آيات ، فلا يأخذون فى العشر الأخرى حتى يعلموا ما فى هذه من العلم . قال : فتعلمنا العلم والعمل » ..

وعن ابن عمر قال : « لقد عشت برهة من دهرى وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغى أن نقف عنده منها .. ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدرى ما آمره ولا زاجره ، وما ينبغى أن يقف عنده ، ينثره نثر الدقل[1] »

(١) الدقل : التمر الجاف .

من أقوال الرسول عن القرآن

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ احتوت على خير كثير ، ونحن نذكرها لتتم بها الفائدة .

فى الحديث الشريف : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

وللبخارى وأبى داود والنسائى عن أبى سعيد بن العلاء عن رسول الله ﷺ « لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ، ثم أخذ بيدى فلما أراد أن يخرج قلت : ألم تقل لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن ؟ قال : الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته » .

وروى الطبرانى فى الكبير والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من قرأ عشر آيات أربعاً من أول البقرة وآية الكرسى وآيتين بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح » .

وقد ورد فى آية الكرسى فى الحديث الصحيح عن أبى بن كعب أن رسول الله ﷺ قال له : يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) فضرب على صدرى وقال : « ليهنك العلم أبا المنذر » لمسلم وأبى داود .

وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه عندما نقل إلى رسول الله ﷺ قول الشيطان السارق وهو : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحى القيوم)

وقال لى : لن يزال عليك من الله حافظ ولن يقربك شيطان حتى نصبح .

عقب على هذا الكلام رسول الله ﷺ بقوله : « أما إنه صدقك وهو كذوب » .

وللشيخين وأبى داود والترمذى عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » .

وللترمذى عن معقل بن يسار عن رسول الله ﷺ :

« من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى ، وإن مات فى يومه مات شهيداً ، ومن قرأها حين يمسى فكذلك » .

وروى النسائى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « من قرأ (تبارك الذى بيده الملك) كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر ، وكنا فى عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة وإنها فى كتاب الله عز وجل سورة من قرأ بها فى ليلة فقد أكثر وأطاب » .

ولأبى داود والترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ واللفظ للترمذى « من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى : تبارك الذى بيده الملك » .

وللترمذى عن جابر أن النبى ﷺ كان لاينام حتى يقرأ « ألم تنزيل.. السجدة » و « تبارك الذى بيده الملك » قال طاووس : تفضلان على كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة .

ولمالك عن حميد بن عبد الرحمن : « أن قل هو الله أحد ثلث القرآن ، وأن تبارك الذى بيده الملك تجادل عن صاحبها فى قبره » .

وعن عبد بن حبيب رضى الله عنه أنه قال :

خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلى لنا فأدركناه فقال : « قل ، فلم أقل شيئاً . ثم قال : قل ، فلم أقل شيئاً ، ثم قال : قل : فقلت : يارسول الله ما أقول ؟ قال : قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شئ » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى . وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

وللترمذى عن أنس أن النبى ﷺ قال لرجل من أصحابه « هل تزوجت يا فلان ؟ قال : لا والله ولا عندى ما أتزوج به . قال : أليس معك قل هو الله أحد ؟ قال : بلى . قال ثلث القرآن . قال : أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟ قال : بلى . قال : ربع القرآن . قال : أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ قال : بلى . قال : ربع القرآن . قال : أليس معك إذا زلزلت الأرض ؟ قال : بلى. قال : ربع القرآن. قال : تزوج تزوج » .

وفى رواية « من قرأ إذا زلزلت الأرض عدلت له بنصف القرآن » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ «من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة . وفى المسبحات آية كألف آية » لرزين .

وللدارمى بإرسال عن عطاء بن أبى رباح قال :

بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ يس فى صدر النهار قضيت حوائجه » .

وروى أحمد والنسائى وأبو داود وغيرهم عن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « قلب القرآن (يس) لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلاغفر الله له . اقرأوها على موتاكم» .

وروى الترمذى والأصبهانى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ « من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » .

وروى النسائى والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » .

وروى الطبرانى فى الأوسط والكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى عليه الله وملائكته حتى تغيب الشمس » .

ولأبى داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص :

« أتى رجل إلى النبى ﷺ فقال : أقرئنى يا رسول الله ، فقال : اقرأ ثلاثا من ذوات الراء ، فقال : كبر سنى واشتد قلبى وغلظ لسانى ، فقال : فأقرأ ثلاثاً من ذوات حم ، فقال : مثل مقالته الأولى ،

قال : اقرأ ثلاثاً من المسبحات، فقال : مثل مقالته الأولى وقال : أقرئنى سورة جامعة ، فأقرأه ﷺ إذا زلزلت حتى فرغ منها ، فقال الرجل : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليها شيئاً ثم أدبر الرجل ، فقال ﷺ : أفلح الرجل مرتين » .

وللترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ :

« لكل شىء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى » .

ولمسلم والترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ :

« لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة » .

ولمسلم عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ :

« اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما . اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة[1] » .

زاد فى رواية « ما من عبد يقرأ بها فى ركعة قبل أن يسجد ثم سأل الله شيئاً إلا أعطاه ، إن كادت لتحصى الدين كله » .

---

(١) البطلة : السحرة .

وللترمذى عن أبى هريرة « بعث النبى ﷺ بعثاً وهم ذوو عدد ، فاستقرأهم فقرأ كل رجل ما معه من القرآن ، فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال : ما معك أنت يا فلان ؟ قال : معى كذا وكذا وسورة البقرة . قال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم معى كذا وكذا وسورة البقرة . قال : اذهب فأنت أميرهم فإنها إن كادت لتحصى الدين كله . فقال رجل من أشرفهم : والله ما منعنى يا رسول الله أن أستلمها إلا خشية أن لا أقوم بما فيها . فقال ﷺ : تعلموا القرآن واقرأوه وقوموا به فإن القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح بريحه كل مكان ، ومثل من تعلمه ويرقد وهو فى جوفه كمثل جراب أوكى على مسلك » .

وفى الحديث « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ « إذا الشمس كورت » « وإذا السماء انفطرت » « وإذا السماء انشقت » .

الذين يحبهم الله

بعد ما تحدثنا عن مكانة الكتاب العزيز ، ورفعة شأنه ووجوب اتباعه ، والتحذير من تركه ، نتحدث بعد ذلك عن محبة الله لعباده ملتمسين ذلك من كتاب الله وسنة رسوله . فطوبى لمن انطبقت عليه هذه الخصال ، إنها لمكانة عظمى أن يحب الله عبده وأن ينال العبد هذه المكانة .

يارب رضاك خير من الدنيا وما فيها ... يامالك النفس قاصيها ودانيها
فليس للنفس آمـــال تحققها ... سوى رضاك فذا أقصى أمانيها
فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى ... خير إلى من الدنيـــا وما فيها

إن من الأشياء المعلومة الثبوت أن محبة العبد لربه أمر مركوز فى فطرته ، فالله صاحب الإنعام والإكرام والفضائل والإحسان ، ومن ثم يقول سيدنا رسول الله ﷺ « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبونى لحب الله إياى ، وأحبوا آل بيتى لحبى » .

ومحبة الله للعبد إنما ينالها العبد الذى سلك صراط الله المستقيم ، واتبع هدى سيد الأنبياء والمرسلين .

وها هو الكتاب والسنة يبينان بياناً شافياً من الذى يحبه الله .

الاحســـان

قال الله تعالى : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى حبه لأهل هذه الصفة (الإحسان) فى أكثر من مكان فى كتابه العزيز ، وله أكثر من معنى ، فمثلا جاء الإحسان فى سورة البقرة بعد قوله تعالى : (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

وجاء فى سورة آل عمران بعد قوله تعالى : (الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) .

وفى سورة آل عمران كذلك بعد قوله : (وما كان قولهم إلا أن قالوا

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) .

وقد فسر أبو أيوب الأنصارى إلقاء النفس إلى التهلكة بالركون إلى الدنيا وترك الجهاد .

وقد فسر رسول الله ﷺ الإحسان عندما سأله جبريل عنه بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وقال تعالى : (فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) .

مما تقدم نعلم أن الإحسان ذو جانبين :

(١) عمل الحسن أو الأحسن .

(٢) الشعور أثناء العمل بأن الله يرانا أو كأننا نرى الله .

التوبة والطهارة

قال تعالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

هذا النص وارد فى نهاية الآية التى قال الله فيها : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

وفى سورة التوبة قوله تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) .

ولنبدأ بذكر ماله علاقة بالشطر الأول من نص سورة البقرة (إن الله يحب التوابين) .

روى الترمذى عن رسول الله ﷺ : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

وروى الترمذى عن رسول الله ﷺ « قال الله تعالى فى الحديث القدسى الجليل : يا ابن آدم : إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى » .

من هذه النصوص نعلم أن الإنسان عرضة لأن يقترف شيئاً من المعاصى . قال الله تعالى : (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذا أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) .

والمقصود بالحديث السابق هو دفع الإنسان دفعاً قوياً إلى التوبة وعدم الإصرار على الذنب .

قال الله تعالى : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

حقيقة التوبة

والتوبة إنما تكون بترك الذنب والندم عليه ، والعزم على عدم العودة إليه ، وإعطاء الحقوق لأصحابها إن كان الذنب فى العدوان على الناس ، أو الاستغفار لأصحاب الحقوق وإن تعذر أداؤها .

وكما أن المؤمن لا يقنط من رحمة الله ، فهو كذلك دائم الخوف من الله ، دائم الشعور بذنبه وتقصيره .. دائم الخوف من الزلل .

قال تعالى (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) .

روى الشيخان عن عبد الله يصف حال المؤمن قال : « إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه ، فقال بيده هكذا فذبه عنه » .

وذلك لأن الذنوب كثيرة ، منها الظاهر ومنها الباطن ، ومنها مايفعله الإنسان فى حالة غفلة ، ومنها ما يفعله عمداً وبقصد . وقد يكون العبد على ذنوب وهو لا يدرى ، ولذلك يبقى على هذه الحالة من الخوف والرجاء .

فمثلا يقول عليه السلام : « إن العبد ليتكلم الكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم سبعين خريفاً » .

وعلى المؤمن أن يحاسب نفسه مصداقاً لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله .ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) .

وقوله جل شأنه : (بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره)
وقوله سبحانه : (لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة) .
فمحاسبة النفس تكون بالنظر فيما قدمت من شر ، أو فيما قصرت من خير ، أو فيما تعد لما بعد . وكلنا فى حاجة إلى استغفار .

قال رسول الله ﷺ : « إنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » .

إلا أن استغفار رسول الله عبادة ودعاء . وليس ناشئاً عن غفلة بخلاف استغفار غيره .

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يعد للنبى ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة « رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم » .

ومن ثم فإنه ﷺ دعانا إلى الاستغفار لما له من فضائل عظمى .

قال ﷺ « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » رواه أبو داود وأحمد ، والحديث صحيح .

وأفضل وقت يستغفر فيه العبد هو وقت السحر : الثلث الأخير من الليل .

قال عز من قائل : (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر

فيقول : « من يدعونى فاستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له » للستة إلا النسائى .

وقد بين الرسول ﷺ صيغاً فى الاستغفار . يقول عليه الصلاة والسلام « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » . وكان عليه الصلاة والسلام إذا سلم يستغفر الله ثلاثاً ويقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » .

قيل للأوزاعى : كيف الاستغفار ؟ قال : أستغفر الله . أستغفر الله .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك . أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك » .

ويحب المتطهرين

قال الله تعالى فى سورة البقرة : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

وقال فى سورة التوبة : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين).

ومن سياق الآية الأولى والنصوص الموضحة للثانية نفهم أن الطهارة فى مجموع النصين تشير إلى ثلاثة جوانب :

(١) الطهارة بمعنى التنزه عن وطء الزوجة فى الفرج وهى حائض.

(٢) الطهارة بمعنى التنزه عن إتيان المرأة فى دبرها .

(٣) الطهارة من الحدث والخبث .

وذلك أن الآية الأولى وردت : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

ولا شك أن الوضوء سلاح المؤمن ، ولا يحافظ عليه إلا تقى نقى .

قال عليه الصلاة والسلام « لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » رواه الترمذى عن سعد والنسائى عن سعيد بن المسيب مرسلا .

وفى هذا الحديث أمور يحرص عليها كل من أراد محبة الله .

نظرة فى الآية الكريمة

رأينا من المهم أن نبحث فى معنى هذه الآية بحثاً يليق بعقلية المسلم .

قوله تعالى : (ويسألونك عن المحيض) لماذا عبر القرآن الكريم بلفظ المحيض ويعبر بلفظ الحيض ؟

ذلك لأن الحيض له معنى واحد وهو الدم الذى تفرزه الغدد الخاصة بالمرأة البالغة التى لا داء بها . أما لفظ المحيض فإنه يشمل ثلاثة أشياء : الدم ، ومكان الدم ، وزمان الدم .

فبدلا من أن تقول الآية ويسألونك عن دم الحيض ومكانه وزمانه فإننا نعلم أن القرآن قد بلغ من علو الطبقة ورصانة التعبير ما جعله معجزاً لا يستطيع بشر أن يأتى بسورة من مثله ، ولذا جاءت لفظة المحيض موجزة فى مبناها عظيمة فى معناها ، وجاءت الإجابة على المعانى الثلاثة بالتفصيل فى نفس الآية .

أجابت عن المعنى الأول وهو دم الحيض فقال تعالى : (قل هو أذى) .

وأجابت عن المعنى الثانى : وهو مكان نزول الدم . قال تعالى : (فاعتزلوا النساء فى المحيض) .

وأجابت الآية عن المعنى الثالث وهو زمان نزول الدم . قال تعالى : (ولا تقربوهن حتى يطهرن) .

وعلم الله تعالى أن هناك نفوساً قد تنحدر من علو إلى نزول وهبوط ، فتقع فى محظور النهى ، ولذا ختم الآية بالترغيب فى التوبة . قال تعالى : (إن الله يحب التوابين) وأخذ بيد السالك فى طريق الإيمان بالاعتصام بالطهارة والنقاء والبعد عن كل خبث ونجس . فقال (ويحب المتطهرين) ومن ثم فإن قرب النساء فى المحيض والنفاس وهو الدم الذى ينزل عقيب الولادة حرام .

ماذا يقول الطب الحديث

ونذكر هنا ما أثبته العلم الحديث مؤيداً نظرة الإسلام الرفيعة ، ومدى مالها من أثر طيب فى المحافظة على الصحة والسلامة ؛ والبعد عن الأمراض والأوبئة . وتبارك الله تعالى الذى يقول : (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وإذ يقول : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .

جاء فى كتاب « القرآن والطب » ما نصه :

قال تعالى : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

قال المؤلف :

« وأقسم أننى لا أكاد أصل إلى قوله تعالى : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى) حتى أقف مشدوهاً وقد أسرنى بديع النظم ، وأخذنى جلال المعنى ، وسحرتنى دقة البيان . إن لفظ (أذى) هذا اللفظ المتواضع

فى هذه الآية المعجزة سوف ترى كم يضم من المعانى ، وكم يحوى من الأغراض .

والله لقد حاولت أن أجد كلمة تستطيع أن تقوم مقامها ، أو تحمل حملها ، فأعيانى البحث . وسنرى كيف أن أمثال : (إثم) و (نجس) و (ضرر) . . . . إلخ لا تفسر المعنى الطبى الذى تؤديه كلمة (أذى) وسنرى كيف أن هذه الكلمة فى هذه الآية درة من دررها ومعجزة من معجزاتها .

آلام الحيض

ودورة الحيض رغم كونها طبيعية إلا أنها تسبب للنساء آلاماً شتى ، فإنهن يجدن عادة زمن الحيض انحرافاً فى مزاجهن ، ويشعرن بتعب عام فى أجسامهن ، ويقاسين فى بعض الأحيان آلاماً شديدة فى أصلابهن ، ويعانين حدة فى طبعهن ، إلى غير ذلك من الآلام التى تعتبر فى ذاتها أعراضاً للطمث ، والطمث ولو أننا لا نستطيع أن نسميه مرضاً بالاصطلاح العلمى إلا أنها حالة لا تقل عن المرض خطورة من حيث الآلام التى قد تحدثها ، والضعف الجسمانى الذى يترتب عليها ، والأمراض التى تكون الأنثى أثناءها عرضة لها ، وهذه الحالة أشبه بالحمل . قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن) أى ضعفاً على ضعف ، كلما كبر حجم الجنين ، ولكن الحيض فوق ما يسببه من الضعف يسبب للأنثى متاعب قد تبلغ حداً لا يطاق ، وآلاماً لا تحتمل ، خلاف ما تتعرض له من المضاعفات الأخرى .

وكثيراً ما تتضاعف أعراض الحيض السالفة الذكر ، وتشتد وطأتها ، حتى تعانى منها المرأة آلاما مبرحة ، وتعباً شديداً ، يزيد فى أيامه الأولى. وقد تشعر الحائض بمغص شديد تصحبه عادة أعراض « هستيرية » قد تنتهى بالإغماء . وإنى أشير إلى هذه الحالة لأن المرأة هى المخلوق الوحيد الذى يقاسى كل هذا العناء ، وينوء وحده تحت أهوال هذا العبء . ولعل عسر الطمث أكثر الأمراض شيوعا بين بنات حواء وأشدها ملازمة لهن . ولعل الواجب يقتضى اعتزال الحائض لما تعانيه وتكتمه أو تبديه مما يئنت من الآلام ، هينها وشديدها . هذا الأمر هو بعض ما حوته كلمة (أذى) من المعانى المتشعبة ، بل هناك قذارة الدم ورداءة الموضع مما يدعو الرجل المهذب أن يكون عفيفاً لا يستعبده هواه ، ولا تذله نفسه .

عرضة الحائض للأمراض

إن الجهاز التناسلى للمرأة هو فى الواقع أهم أعضائها ، وإننا نستطيع أن نقرر أن الحالة الطبيعية لها هى الحمل والرضاع . والحيض يمتنع أثناء هذين الزمنين لاحتياج الجسم إلى المدخر من المواد الغذائية ، وفيما عدا ذلك يأتى الطمث حتى يتوازن نظام الوارد والمنصرف ، فإذا حصل أى خلل فى الجهاز التناسلى كالالتهابات مثلا اختلفت دورة الحيض ، وترتب على ذلك عسر الطمث وهو ما أشرنا إليه . وسنرى فيما يلى كيف أن الوطء فى الحيض من الوسائل القوية فى إحداثه .

إن المرأة أيام الحيض معرضة لكثير من العلل التى تؤثر تأثيراً ليس

قاصراً على صحتها العامة فقط ، بل على حياتها التناسلية . ولا يفوتنى أن أذكر أن اضطرابات الحيض أو البرد أثناء دورة الطمث ، أو الإفراط فى الشهوات لمن أقوى الأسباب المهيئة لالتهابات المبيض التى تكون أقرب نتيجة مباشرة لها هى العقم . ولو علمت بالأمراض الخطرة التى تتعرض لها الأنثى من الوطء فى الحيض لرحمت نفسك ورحمتها ، ولأمنت شراً يصيبك ويصيبها .

ولعل مباشرة المرأة بالجماع أثناء الطمث من أكبر الكبائر لأن الضرر لو كان عائدا على الرجل وحده لهان الأمر ولقلنا : أحمق يريد بنفسه ضرراً ، ولكنها هى نفسها التى سوف تقاسى الألم الأكبر ، وتعانى العذاب الطويل .

أذى وطء المرأة أثناء الحيض

إن الحيض والوطء أثناءه هو أهم الأسباب المهيئة لالتهاب المهبل ، وهذا أكثر أنواع التهاب المهبل شيوعاً ، وفيه تكبر البابلى وتأخذ فى الازدياد فى الحجم حتى ينتهى الأمر بتلف الغشاء المخاطى لها ، وينجم عن ذلك نمو نتوءات على جميع سطح المهبل ، وعند هذه الحالة يسمى الالتهاب اسما خاصاً ، وهذه الالتهابات تحدث آلاما شديدة فى الحوض مع الشعور بثقل فيه . وفى الوقت نفسه يظهر رشح وترتفع درجة حرارة الأعضاء التناسلية ويحتقن الغشاء المخاطى . وفى الأحوال الحادة نجد المصابة آلاماً مبرحة وتعانى ورماً شديداً ويلتهب الجهاز التناسلى ويحدث رشح مدى شديد ، وترتفع درجة الحرارة ، وتزداد ضربات

القلب ، وتظهر أعراض أخرى كثيرة ناشئة عن امتصاص الجسم لمواد سامة .

ولا شك أن الالتهاب المهبلى هو من أكبر العوامل المسببة للالتهاب الذى يصيب الغشاء المخاطى للمثانة ، فيظهر فيها التهاب شديد وتمتاز إذ ذاك بصلابتها ويشعر المريض بالميل إلى التبول مع قلة ما ينزل منه ، ويصبح البول شديد الكدرة مصحوباً بقيح وبعض الزلال ، وفى الأحوال الحادة جداً يكون مصحوباً بدماء ، وعند فحص البول بالمجهر نجد فيه كثيرا من البكتريا . وفى الأحوال المزمنة تشاهد تقرحات فى الغشاء المخاطى للمثانة .

إن الجماع هو من وسائل حمل البكتريا إلى داخل المهبل ، وهـذا الأمر لم يعرف فى الطب إلا حديثاً ، وقد علمنا كيف أن الوسط المهبلى أثناء الحيض جد صالح لنموها : فالجراثيم الصديدية التى توجد فى الالتهابات الحادة المختلفة وفى أحوال التقيح والتى تكون مصحوبة دائماً بالمدة ، لا تعيش مطلقاً إلا فى الوسط القلوى .

ولقد وجد بالتجارب أنك إذا أدخلت بعض أنواع هذه الجراثيم فى المهبل السليم لا تلبث أن تموت فى ساعات قليلة .

الأذى الذى يصيب الرجل

من ذلك يتضح جلياً أن المهبل أثناء المحيض عرضة لكل ما ذكرت من الجراثيم المعدية التى تصيب الرجل فتحدث عنده التهابات مختلفة فى أعضائه التناسلية ، إذ تمتد الجراثيم إلى داخل القناة البولية بل قـد

تصيب المثانة والحالبين . بل قد يمتد الالتهاب حتى يصيب غدة كوبر والبروستاتا والحويصلتين المنويتين والخصيتين والبربخ .

إن الجماع فى المحيض ينذر الرجل بخطر داهم هو فى غنى عنه وعن مضاعفاته لو عفت نفسه ووعى أمر ربه . فليست إصابة القناة البولية بالأمر الهين أو الخطب اليسير ، بل هذه الإصابة هى التى تجر عليه ما لا طاقة له به من الآلام والمضاعفات ، إذا ما ولجت هذه القناة أحدثت التهاباً شديداً يتعذر معه التبول الذى يحدث فى بعض الأحيان آلاماً لا تطاق ومتاعب لا تحتمل . وهذا الالتهاب يصحبه عادة إفراز مدى شديد يلوث عند اشتداد الحالة بالدماء .. ولا يخفى أن ذلك يكون مصحوباً كذلك بأعراض عامة مختلفة فى جميع أجزاء الجسم كالحمى والقشعريرة وذلك بجانب ما يطرأ من الضعف العام والانحطاط فى جميع الأعضاء . أما إذا امتد الالتهاب إلى المجرى الخلفى فهناك تكون الطامة الكبرى ، حيث يكثر القيح الذى تتخلله خيوط من الدماء ويصعب التبول ، وتتضاعف مع ذلك الآلام ، ويشتد الضعف ، وتقل الشهية للطعام ويسير هذا الحال بجانب الحمى وسرعة ضربات القلب وإجهاده . . . إلخ .

ولأسباب شتى يزمن المرض وتصحبه مضاعفات عامة فى غاية الحدة والخطورة . فمن ذلك التهاب الحشفة والقلفة مما قد يؤدى إلى حدوث الغنغرينة فيها ، وذلك يكون خاصة فى حالة الانكماش أو الاختناق مما يدعو وجوب القيام بعملية البتر حتى لا يتسمم سائر البدن .

وإذا علمت أن مجرى البول ملتصق الجدران حتى أنه لا يظهر بمظهر

القناة إلا إذا سرت فيه أجسام غريبة كالبول مثلا . إذا علمت ذلك سهلت عليك معرفة كيفية امتداد الجراثيم المرضية إلى سائر الجهاز التناسلى .

وفى المجرى البولى توجد فتحتان لقناتى غدة (كوبر) من حيث تصاب الغدة المذكورة فتحدث الآلام الشديدة سواء كان ذلك عند التبول أو التبرز وقد ينتهى الأمر بتقرح الغدة وامتلائها بالقيح .

وتوجد فتحات كثيرة لغدد (البروستاتا) فى الجزء البروستاتى من القناة البولية ، وعند إصابة هذه الغدد تتشنج المثانة ويختل فعلها فتشتد الآلام ويصير البول مصحوباً بمدة ودماء ، وقد ينتهى الأمر بتقيح البروستاتا مما يستدعى تدخل الجراح ، وهذه العملية من الخطورة بمكان ولا يخفى أن حالة المريض إذ ذاك يرثى لها وتعتريه الحمى ، وعند ذلك يختل نظام القلب .

وعند إصابة الحويصلتين المنويتين يشتد الألم فى العجان ، ويتضاعف هذا الألم عند التبول أو التغوط ، كما يحدث نفس الأمر عند المشى ، أو عند مجرد الجلوس . وعند امتداد الإصابة إلى البربخ والخصيتين يعانى المصاب آلاماً متشعبة ، إذ قد يصاب البربخ بالورم حتى يبلغ حجمه حجم بيضة الدجاجة ، وقد ينسد الحبل المنوى الذى قد يستمر انسداده مدى الحياة ، وفى هذه الحالة يتألم المريض عند الوقوف ، وقد تعتريه نوبات هستيرية .

كل هذه الحالات لا ينجو من إحداها من ركب رأسه وأتى هـذا

العمل الشائن الذى حكم الشرع بضرره وخطورته ، وحذر من ويلاته ومصائبه ونهى عن إلقاء النفس بين مخالبه .

وإن كثيراً من الناس — لضعف عقولهم واستهتارهم لا يبالون بالضرر حتى يصيبهم . والعاقل هو الذى يتجنب الشىء الذى يتحتم وصول الضرر إليه منه .

وكيف لا والله تعالى يقول : (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) .

وكيف يتعامى الإنسان عن آيات ربه ويتغافل عنها ، ولقد نبهه إلى سبيل الأمراض والعلل ، وحذره من الوقوع فى حبائل الرذيلة والفساد ، وأمره بالمحافظة على جسمه ، وحثه على تهذيب نفسه وتطهيرها من أدران القبائح والمساوىء ، حتى يصبح رجلا كاملا صحيح الجسم والنفس ، سعيداً فى الدنيا وسعيداً فى الآخرة . وهل ترى السعادة فى الدنيا غير سلامة الجسم وطهارة الروح وصفاء النفس ، الأمر الذى يدعو إليه الدين الإسلامى . قال تعالى : (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً) .

إن الالتهاب البسيط فى القناة البولية هو الذى يسبب كل هذه المضاعفات التى ذكرتها . . وكيف لا . . . وهذا الالتهاب سببه الجراثيم الفتاكة التى سميتها آنفا . وليس ببعيد أن يمتد الالتهاب فى الحالبين وقاعدة الكليتين حيث يمتنع نزول البول فى الحالة الأولى فيترتب

التسمم الدموى « يوريميا » أما فى الحالة الثانية فالموت هو أقرب النتائج لهـا .

وإن إصابة البربخ فضلا عن كونها تنشأ عن امتداد الإصابة من القناة البولية فهى نتيجة مباشرة كذلك للجماع فى المحيض . ويجب ألا يغيب عن البال أن كثيراً جداً من أحوال العقم تتسبب من هذه الإصابة التى تنذر العـالم بشر مستطير وتهدد كيانه بخطر داهم .

مما تقدم يستطيع القارىء اللبيب أن يلم بالأذى الذى عناه سبحانه وتعالى بقوله :

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى) ذلك الأذى الذى يحمل بنى آدم رجالا ونساءاً مالا طاقة لهم به من الآلام والأمراض ؛ بل ذلك الأذى الذى يترتب عن عقم المرأة وعقم الرجل جميعاً ، وهو ما يهدد العـالم بالفناء والزوال .

وإنى لأظن أنه جد كاف للمرء أن يذكر الله له ضرر الشىء ليتحاشاه ويتجنبه (ومن أصدق من الله حديثاً) ؟ ! .

وكيف لا يكون فاسقاً من يعصى أمر ربه ويسلك سبيل الغواية الذى حذره منه بعد أن تبين له ضرره وشاهد بعينى رأسه خطورته . قال تعالى :

(ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون) .

الناحية النفسية فى المنع

وبالإضافة إلى أن المنع من قرب الحائض ناحية طبية كما تبين لنا ، فإن فيه أيضاً ناحية نفسية ، فلا يخفى أن من حكم تحريم المباشرة أثناء الطمث تعويد الرجل على الصبر على بعد المرأة مدة من الزمن ، إذ أن الرجل كثيراً ما تعوده أعماله الخاصة إلى السفر والتغيب عن أهله مدداً مختلفة . ففى التحريم رحمة به وتقوية لعزيمته ، ولعل ذلك كحكمة الصيام فى تدريب المرء على الصبر على الجوع واحتمال قلة الطعام أو عدمه فى سفره وترحاله وما قد يلاقيه أثناء صيامه . والمنع فى الحالتين تعويد للجسم على احتمال الطوارىء حتى لا يفاجأ البدن بما لم يتدرب عليه ، ولا تؤخذ النفس على غرة منها .

* * *

وبعد . فقد استمعنا إلى رأى الطب ، وتبينا مدى السر الإلهى فى التعبير بقوله تعالى (قل هو أذى) .

كلمة موجزة فى مبناها ، معجزة فى لفظها ومعناها ، فسبحان من أحصى كل شىء عدداً ، وأحاط بكل شىء علما ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

(قل أأنتم أعلم أم الله) (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .

أحـكام شـرعيـة

نذكر فيما يلى الأحكام الشرعية التى ذكرها فقهاء الإسلام فى الحيض والنفاس والاستحاضة حتى تكون الفائدة تامة وكاملة :

تعريف الحيض :

هو الدم الخارج من قبل المرأة حال صحتها من غير سبب ولادة ولا افتضاض .

وقت الحيض :

يرى كثير من العلماء أن وقته لا يبدأ قبل بلوغ الأنثى تسع سنين ، فإذا رأت الدم قبل بلوغها هذا السن لا يكون دم حيض بل دم علة وفساد ، وقد يمتد إلى آخر العمر ، ولم يأت دليل على أن له غاية ينتهى إليها . فتى رأت العجوز المسنة الدم فهو حيض .

مدة الحيض :

يرى بعض العلماء أنه لا حد لأقله . . ويرى بعضهم أن أقل مـدة للحيض يوم وليلة . وقال غيرهم : ثلاثة أيام ، وأما أكثر مدة الحيض فقيل عشرة أيام ، وقيل خمسة عشر يوما .

دم النفـــــاس

تعريفه : هو الدم الخارج من قبل المرأة بسبب الولادة، وإن كان المولود سقطاً .

مدته : لا حد لأقل النفاس فيتحقق بلحظة ، فإذا ولدت وانقطع

دمها عقب الولادة ، أو ولدت بلا دم وانقضى نفاسها ، ولزمها ما يلزم الطاهرات من الصلاة والصوم وغيرهما ، وأما أكثره فأربعون يوماً لحديث أم سلمة رضى الله عنها قالت : « كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يوما » رواه الخمسة إلا النسائى .

قال الترمذى بعد هذا الحديث : قد أجمع أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ والتابعين ومن بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يوماً إلا أن ترى الطهر قبل ذلك فإنها تغتسل وتصلى ، فإن رأت الدم بعد الأربعين فإن أكثر أهل العلم قالوا : لا تدع الصلاة بعد الأربعين .

ما يحرم على الحائض والنفساء

(١) الصلاة .

(٢) الطواف .

(٣) مس المصحف وحمله .

(٤) قراءة القرآن .

(٥) المكث فى المسجد .

(٦) الصوم : فلا يحل للحائض أو النفساء أن تصوم ، فإن صامت لا ينعقد صيامها ووقع باطلا ، ويجب عليها قضاء ما فاتها من أيام الحيض والنفاس فى شهر رمضان بخلاف ما فاتها من الصلاة فإنها لا قضاء عليها دفعاً للمشقة ، فإن الصلاة يكثر تكرارها بخلاف الصوم .

(٧) الوطء «الجماع» وهو حرام بإجماع المسلمين بنص الكتاب والسنة، فلا يحل وطء الحائض والنفساء حتى تطهر، لحديث أنس رضى الله عنه: إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها، ولقد سأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين).

فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» وفى لفظ «إلا الجماع» رواه الجماعة إلا البخارى.

قال النووى: «ولو اعتقد مسلم حل جماع الحائض فى فرجها صار كافراً مرتداً وإن فعله عامداً عالماً بالحيض والتحريم مختاراً غير مكره فقد ارتكب معصية كبيرة يجب عليه التوبة».

واتفق العلماء على أنه يجوز أن يباشر الرجل زوجته الحائض فيما عدا الجزء الواقع بين السرة إلى منتهى الركبة.

أما إذا باشرها فيما بين السرة إلى الركبة غير القبل والدبر فأكثر العلماء على أنه حرام.

ثم اختار الإمام النووى الرأى القائل بالجواز مع الكراهة.

فقد سئلت السيدة عائشة: ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً؟ قالت: كل شيء إلا الفرج. رواه البخارى فى تاريخه.

دم الاستحاضة

تعريفهـــا : هى استمرار نزول الدم وجريانه فى غير أوانه .

أحوال المستحاضة : المستحاضة لها ثلاث حالات :

١ ـ أن تكون مدة الحيض معروفة لها قبل الاستحاضة ، وفى هذه الحالة تعتبر هذه المدة المعروفة هى مدة الحيض ، والباقى استحاضة .

٢ ـ أن يستمر بها الدم ولم يكن لها أيام معروفة إما لأنها نسيت عادتها أو بلغت مستحاضة ولا تستطيع تمييز دم الحيض . وفى هذه الحالة يكون حيضها ستة أيام أو سبعة على غالب عادة النساء .

٣ ـ أن لا تكون لها عادة ولكنها تستطيع تمييز دم الحيض عن غيره ، وفى هذه الحالة تعمل بالتمييز .

أحكام المستحاضة :

١ ـ أنه لا يجب عليها الغسل لشىء من الصلاة ولا فى وقت من الأوقات إلا مرة واحدة حينما ينقطع حيضها .

٢ ـ أنه يجب عليها الوضوء لكل صلاة لقوله ﷺ فى رواية البخارى « ثم توضىء لكل صلاة » وعند مالك يستحب لها الوضوء لكل صلاة ولا يجب إلا بحدث آخر .

٣ ـ أنه يجوز لزوجها أن يطأها فى حال جريان الدم عند جماهير العلماء ، لأنه لم يرد دليل بتحريم جماعها . قال ابن عباس : المستحاضة يأتيها زوجها إذا صلت الصلاة ، أعظم . رواه البخارى . يعنى إذا جاز لها أن تصلى ودمها جار وهى أعظم ما يشترط لها الطهارة . جاز جماعها.

٤ — أن لها حكم الطاهرات ، فتصلى وتصوم وتعتكف وتقرأ القرآن وتمس المصحف وتحمله وتفعل كل العبادات ، وهذا مجمع عليه .

ملحوظة :

ومما هو جدير بالذكر أن دم الحيض دم فاسد ، أما دم الاستحاضة ، فهو دم طبيعى ، لذا منعت من العبادات فى دم الحيض ، ولم تمنع فى دم الاستحاضة .

أحكام تتعلق بالغسل

لما تكلمنا عن قوله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وذكرنا ما يتعلق بهذه الآية من تفسير ورأى الطب الحديث وأحكام فقهية ، رأينا أن نتم هذا الموضوع بذكر الأحكام التى تتعلق بالغسل ، إذ به يطهر الإنسان من الجنابة ذكراً كان أو أنثى ، وتطهر به المرأة من حيضها ونفاسها .

والغسل فى شريعة الإسلام له ركنان هما :

١ — النية : إذ هى المميزة للعبادة عن العادة . وليست النية إلا عملا قلبياً محضاً لا دخل فيه للألفاظ ، وهى عقد القلب على العقل .

٢ — غسل جميع الأعضاء لقوله تعالى (وإن كنتم جنباً فاطهروا) أى اغتسلوا ، وقوله سبحانه (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) أى يغتسلن .

والدليل على أن المراد بالتطهر الغسل ما جاء صريحاً فى قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا) وحقيقة الاغتسال غسل جميع الأعضاء .

ماسنن الغسل :

يسن للمغتسل مراعاة فعل الرسول ﷺ فى غسله فيبدأ :

١ — يغسل يديه ثلاثا .

٢ — ثم يغسل فرجه .

٣ — ثم يتوضأ وضوءا كاملا كالوضوء للصلاة ، وله تأخير غسل رجليه إلى أن يتم غسله إذا كان يغتسل فى طست ونحوه .

٤ — ثم يفيض الماء على رأسه ثلاثا مع تخليل الشعر ليصل الماء إلى أصوله .

٥ — ثم يفيض الماء على سائر البدن بادئاً بالشق الأيمن ثم الأيسر مع تعاهد الإبطين وداخل الأذنين والسرة وأصابع الرجلين وذلك ما يمكن دلكه من البدن .

كيف تغتسل المرأة ؟

غسل المرأة كغسل الرجل إلا أن المرأة لا يجب عليها أن تنقض ضفيرتها إذا كان شعرها مضفوراً ، وذلك بشرط أن يصل الماء إلى أصل شعرها .

ولذلك يجب عليها أن تفيض الماء على جميع شعرها بحيث يصل الماء إلى أصوله .

وذلك لحديث أم سلمة رضى الله عنها أن امرأة جاءت إلى الرسول ﷺ وقالت يا رسول الله إنى امرأة أشد ضفر رأسى . أفأنقضه للجنابة ؟ قال : « إنما يكفيك أن تحثى عليه ثلاث حثيات من ماء ثم تفيضى على سائر جسدك ، فإذا أنت قد طهرت » رواه أحمد ومسلم والترمذى وقال حسن صحيح .

ومعنى هذا : أن تصب الماء على شعرها وضفائرها ثلاث مرات ليصل الماء إلى أصول الشعر .

وللإسلام نظرة تتعلق بالجانب النفسى فى غسل المرأة ، فإنه يستحب لها إذا اغتسلت من حيض أو نفاس أن تأخذ قطعة من قطن ونحوه وتضيف إليها مسكا أو طيباً ثم تتبع بها أثر الدم لتطييب المحل وتدفع عنه رائحة الدم الكريهة .

فعن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت يزيد سألت النبى ﷺ عن غسل المحيض قال : « تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصبه على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى يبلغ شئون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها » قالت أسماء : وكيف تطهر بها ؟ قال : سبحان الله ! تطهرى بها . فقالت عائشة كأنها تخفى ذلك : تتبعى أثر الدم . وسألته عن غسل الجنابة فقال : تأخذين ماءك فتطهرين فتحسنين الطهور أو أبلغى الطهور

ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى يبلغ شئون رأسها ثم تفيض عليها الماء . فقالت عائشة : نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين .

رواه الجماعة إلا الترمذى .

مسائل تتعلق بالغسل

١ — يجزئ غسل واحد عن حيض وجنابة ، أو عن جمعة وعيد ، أو عن جنابة وجمعة إذا نوى الكل ، لقول الرسول ﷺ « وإنما لكل امرىء ما نوى » .

٢ — إذا اغتسل من الجنابة ولم يكن قد توضأ يقوم الغسل عن الوضوء .

قالت عائشة : كان النبي ﷺ لا يتوضأ بعد الغسل .

٣ — يجوز للجنب والحائض إزالة الشعر وقص الظفر .

قال عطاء : يحتجم الجنب ، ويقلم أظافره ، ويحلق رأسه .

٤ — لا يجوز الاغتسال عرياناً بين الناس . لأن كشف العورة محرم ، وهذه عادة سيئة قد تفشت بين بعض الناس وإنها منكر لا يرضى الله ورسوله .

متى يكون الغسل فرضا ؟

يكون فرضاً للتطهر من الجنابة . وكذلك الحيض والنفاس كما سبق من الأدلة في قوله تعالى : (وإن كنتم جنباً فاطهروا) وكما

فى قوله جل شأنه (يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) .

ما هى الأغسال المستحبة ؟

يكون الغسل مستحباً فى الأمور الآتية :

١ ـ غسل الجمعة : لما كان يوم الجمعة يوم اجتماع للعبادة والصلاة ، أمر الشارع بالغسل وأكده ، ليكون المسلمون فى اجتماعهم على أحسن حال من النظافة والتطهر .

٢ ـ غسل العيدين : استحب العلماء الغسل للعيدين .

٣ ـ غسل من غسل ميتاً : يستحب لمن غسل ميتاً أن يغتسل عند كثير من أهل العلم .

٤ ـ غسل الإحرام : يستحب الغسل لمن أراد أن يحرم بحج أو عمرة ، عند الجمهور .

٥ ـ غسل دخول مكة : يستحب لمن أراد دخول مكة أن يغتسل .

٦ ـ غسل الوقوف بعرفة : يستحب الغسل لمن أراد الوقوف بعرفة للحج . وقد صدق الله تبارك وتعالى إذ يقول : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) .

اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم

سبق أن ذكرنا أن الذين يحبهم الله يتصفون بصفات بينها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وقد ذكرنا من هذه الصفات أن الله يحب المحسنين ، وأن الله يحب التوابين ؛ وأن الله يحب المتطهرين ، والآن نأتى على هذا الموضع من المواضع التى يحب الله أصحابها ، ألا وهو اتباع النبى ﷺ

قال الله تبارك اسمه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) .

فقد بينت هذه الآية الكريمة أن اتباع رسول الله ﷺ والسير وراء هديه هو الأساس فى حب الله تعالى لعبده ، وقد صدق الله جل شأنه إذ يقول (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ، وإذ يقول : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) .

ولكى نتبع الرسول ونسير وراء هديه لابد أن يكون لنا فيه الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة ، التى بها نسلك الطريق القويم والصراط السوى الذى لا يحيد سالكه ولا يضل من اتبعه .

الأسوة الحسنة

قال الله جل شأنه : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

هذه الآية الكريمة ذكرت أنه لا يتأسى برسول الله ﷺ إلا من كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً . فكأنها تدلنا على الطريق الذى إن سلكناه تأسينا برسول الله ﷺ ، كما بينت أن الغاية هى التأسى وليست شيئاً آخر ، فليس بعد السنة إلا الزيغ ، إذ الانحراف عنها هو الضلال البعيد ، قال ﷺ « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان أخى موسى حياً ما وسعه إلا اتباعى » .

وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم ، ثم تلا قوله تعالى : (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) .

وهذه الآية الكريمة وهى قوله تعالى :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) قد اشتملت على ثلاثة مباحث :

أولها : الأسوة الحسنة فى رسول الله ﷺ .

وثانيها : رجاء الله واليوم الآخر .

وثالثها : ذكر الله كثيراً .

ولنبدأ الكلام عن الأسوة الحسنة فى رسول الله ﷺ .

١ — إن الصفات الأساسية للرسول ﷺ وكل رسول كما يذكرها علماء التوحيد أربع وهى :

الصدق ، والأمانة ، والفطانة ، والتبليغ .

والمقصود بالصدق : واضح وهو ألا يكذب أبداً . لأن مبنى الرسالة الصدق وبدونه يتهم الرسول فلا يصدق بشيء .

والمقصود بالأمانة هنا : القيام بحق التكليف قياماً كاملا ، وهذا ما عنته الآية الكريمة : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا) ومظهر التكليف طاعة الأمر واجتناب النهى ، فالرسول إذن صورة طبق الأصل عن دعوته ، فإنه لا يخالف لله أمراً ولا يعصى الله فى نهى ، وإذا كان الإسلام هو دين الله فالرسول إذن هو الصورة العملية للإسلام .

والمقصود بالفطانة : العقل الراجح ، والذكاء الخارق ، والحجة التى لا تدحض فإن مهمة الرسول ﷺ إقامة الحجة على من أرسل إليهم ، ولن يقيم الحجة إنسان عادى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ورسالة للبشر عامة كرسالة سيدنا محمد ﷺ وشاملة لكل شئون الحياة فإنها تحتاج إلى عقل لامثيل له ، إذ على صاحبها أن يقيم الحجة على كل إنسان كبر هذا الإنسان أو صغر ، فيلسوفاً كان أو عادياً ، ولا يخاطب صاحب العقل الكبير بما يخاطب به الغبى .

والمقصود بالتبليغ : أن يبلغ كل ما أمر بتبليغه ، أى يبلغ مضمون رسالته للآخرين مهما كان هذا المضمون ، خالف هوى الناس أو وافق ، سخط الناس أم رضوا ، أكرموه أم آذوه (الذين يبلغون

رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله) (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعـــل فما بلغت رسالته) فإذا ما استجاب له من بلغهم تكون مهمته تربيتهم وتعليمهم الكتاب وشرح هذا الكتاب لهم (وهو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) .

(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) .

وإذن مهمته مع من استجاب له تطهيرهم من أهواء الأنفس وشهواتها وأخلاقها السيئة ، وتعليمهم الكتاب والسنة التى هى الشارحة للكتاب .

وعليه أن يقوم مع من استجاب له بعملية الصراع ضد الجاهلية على أمر الله حتى تكون كلمة الله هى العليا (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) .

وهذا كله داخل فى التبليغ .

ولا يقوم إنسان بحق الاقتداء إلا إذا أخذ هذا كله :

فكان صادقاً ، وكان أميناً ، وكان فطناً ، وكان مبلغاً عن الله ورسوله ﷺ .ومن التأسى بصفة الأمانة أن يتأسى برسول الله ﷺ بإقامة الفرائض

والواجبات والسنن بقسميها ، سنن الهدى وسنن العادة ، وأن يتأسى برسول الله ﷺ بترك المحرمات والمكروهات التحريمية والتنزيهية .

إن كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية يجب عليه أن يكون صورة صادقة لحياة نبي الإسلام ﷺ : بياناً ، وجهاداً ، وحكمة ، وحنكة ، ودراية ، وعبادة ، وزهداً ، وإقداماً ، وثباتاً ، وكرماً ، ورجولة ، ولطفاً ، ورحمة ، وحزما . وإذا ما استطاع كل فرد من أفراد هذه الأمة أن يرتفع هذا الارتفاع فإننا نؤكد أنه وقتذاك يحس بطعم إنسانيته تميزاً وارتقاءاً .

ونسأل الله تعالى أن يجعل رضوانه غايتنا ، وأن يجعل رسوله ﷺ قدوتنا فى كل شأن من شئوننا .

رجاء الله واليوم الآخر

البحث الثانى فى هذه الآية الكريمة : رجاء الله تعالى واليوم الآخر .

اعلم وفقنى الله وإياك أن الله تبارك اسمه بيده الملك كله ، وإليه يرجع الأمر كله .

(قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) .

(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير . وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) .

(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) .

(يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن) .

فإذا علمت هذا — ويجب أن تعلمه وتعتقده — فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله .

يا صاحب الهم إن الهم منفرج   أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه   لا تيأسن فإن الكافى الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة   لا تجزعن فإن الصانع الله
إذا بليت فثق بالله وارض به   إن الذى يكشف البلوى هو الله
والله مالك غير الله من أحد   فحسبك الله فى كل لك الله

(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

فاللهم اقسم لنا من طاعتك ما تبلغنا به رحمتك ، واقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، واقسم لنا من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا .

اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك .

اللهم أرنا الأشياء كما هى .. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .

فعلى المؤمن أن يأخذ فى الأسباب ، ويؤدى ما عليه من واجبات ؛ ولله عاقبة الأمور .

على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك المقاصد .

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) .

(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) .

قيل لتقى الدين الحسن البصرى رضى الله عنه : ما سر زهدك فى الدنيا ؟ قال : أربعة أشياء : علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبى ، وعلمت أن عملى لا يقوم به غيرى فاشتغلت به ، وعلمت أن الله تعالى مطلع على فاستحييت أن يرانى على معصية ، وعلمت أن الموت ينتظرنى فأعددت الزاد للقاء الله .

فاعتماد المؤمن على الله هو الأساس ، والأخذ فى الأسباب تنفيذ لأوامر الله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه . إن الله بالغ أمره . قد جعل الله لكل شىء قدراً) .

عن جابر رضى الله عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم ، فأدركتهم القافلة فى واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر ،

ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق بها سيفه ، ونمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابى فقال : إن هذا اخترط على سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا ، قال : من يمنعك منى ؟ قلت : الله ثلاثاً يمنعك منى . قال : آلله ؟ فسقط السيف من يده ولم يعاقبه وجلس . وفى رواية لأبى بكر الإسماعيلى فى صحيحه قال : من يمنعك منى ؟ قال : الله فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال : من يمنعك منى ؟ فقال : كن خير آخذ ، فقال : تشهد أن لا إله إلا الله وإنى رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنى أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله فأتى أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس .

وفى حديث الهجرة المتفق عليه عن أبى بكر قال : « نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رءوسنا ، فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال :« ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » ؟

أخذ بالأسباب واعتماد مطلق .

أما رجاء اليوم الآخر فهذه غاية المتوكلين على الله ، المعتقدين فى لقاء الله . وقضية الآخرة هى الركن الركين والأصل المكين فى عقيدة الإسلام ، ولذا كان دعاء يوسف عليه السلام (توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) .

ودعاء إبراهيم : (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى

من ورثة جنة النعيم) ودعاء الحبيب محمد ﷺ : (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً) .

إن قضية اليوم الآخر هى أهم قضية فى الوجود على الإطلاق بعد قضية الألوهية ، وهى ملازمة للإيمان بالله لا تنفصل عنها ، فمن عرف الله وآمن به ينبغى أن يؤمن باليوم الآخر الذى سيثاب فيه المحسن على إحسانه ، ويجازى فيه المسىء على إساءته ، والذى بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم من أجل التبشير به والإنذار منه (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) به تتبين نتيجة الامتحان الذى امتحن به الإنسان (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) .

ولذلك كانت هذه القضية بالنسبة للمسلم محور عمله كله ، ومحور فكره كله .

يقول الله تعالى :

(وويل للكافرين من عذاب شديد . الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد) .

(إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) .

(فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم) .

(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً) .

(ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب) .

فالآيات القرآنية إذن جازمة أن الكافرين هم الذين جعلوا الدنيا هدفهم ومرادهم واستحبوها على الآخرة .

أما المؤمنون فإن هدفهم الآخرة ولها يسعون (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً) .

(من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه) .

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) .

فالآخرة هى الهدف .. والدنيا طريق لهذا الهدف ، وعلى قدر ما يزداد علم الإنسان يتضح لديه أن الدنيا لا تساوى شيئاً بالنسبة للآخرة (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) .

(وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً) .

وليس معنى كون الآخرة هى الهدف أن المسلم محرم عليه أن ينال شيئاً من الدنيا . إن الله تعالى علمنا أن ندعو (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) .

بل المقصود أن الدنيا ليست هى الهدف وإنما ينبغى أن يمر بها المسلم وهو عالم أنه على الطريق إلى هدف آخر ، فما الإنسان فى جيل من الأجيال إلا ذرة فى فضاء . وما الجيل فى الزمان إلا لبنة فى بناء . وما الزمان إلا مقدمة محدودة لعالم البقاء .

(قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) .

(أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) .

سئل النبى ﷺ عن معنى قوله جل شأنه : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قيل له : ما هذا الشرح ؟ قال : إن النور إذا دخل فى القلب انشرح له الصدر وانفسح . قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم : التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله .

* * *

ويشرفنا فى هذا المقام أن نسجل على هذه الصفحات المواقف التى وقفها هؤلاء الرجال الذين طلبوا ما عند الله فنالوا الدرجات العلا ، صدقوا الله فصدقهم الله .

نذكر من هؤلاء الرجال الشهيد ابن الشهيد سعد بن خيثمة .

أما سعد فكان شهيد بدر ، وأما أبوه خيثمة فكان شهيد أحد .

ولننصت الآن إلى الحقائق تحدثنا حديث الدارس الواعى وتنبئنا بهذه المواقف المشرفة التى آثر فيها هؤلاء الرجال ما عند الله (وما عند الله خير للأبرار) .

لقد كان سعد سيد قومه ونقيبهم فى يوم العقبة ، وقد وفى ما كان على قيد الحياة .

لقد قال خيثمة لابنه سعد يوم بدر : لابد لأحدنا أن يقيم ، فآثرنى بالخروج وأقم أنت مع نسائنا .

فأبى سعد وقال له : « لو كان غير الجنة لآثرتك به . إنى أرجو الشهادة فى وجهى هذا » .

فاستهما ، فخرج سعد ، وأبلى يوم بدر أحسن البلاء ثم قتل .

إن خيثمة تذكر كل هذا .. تذكر أنه لم يحزن على سعد لأنه فى جوار ربه وفى رضوان من الله أكبر .

وأحب خيثمة أن يلحق بابنه وأن يفوز بما فاز به .

فلما طلب الرسول من الناس المشورة وقف خيثمة فقال : يارسول الله إن قريشاً مكثت حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب فى بواديها ومن تبعها من أحابيشها ، ثم جاءونا وقد قادوا الخيل ، وامتطوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا فيحصروننا فى بيوتنا وحياً حياً ثم يرجعون وافرين لم يكلموا فيجرئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات ويصيبوا أطرافنا ، ويضعوا العيون والأرصاد علينا ، مع ما قد صنعوا بحروثنا ، وتجترىء علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا ، إذا رأونا لم نخرج إليهم فنذبهم عن قرانا ، وعسى الله أن يظفرنا بهم . فتلك عادة الله عندنا ، أو تكون الأخرى فهى الشهادة .

لقد اخطأتنى وقعة بدر وقد كنت عليها حريصاً ، لقد بلغ من حرصى أن ساهمت ابنى فى الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة . وقد كنت على الشهادة حريصاً . وقد رأيت ابنى البارحة فى النوم فى أحسن صورة يسرح فى ثمار الجنة وأزهارها وهو يقول : الحق بنا ترافقنا فى الجنة ، فقد وجدت ما وعدنى ربى حقاً ، وقد والله يارسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته فى الجنة ، وقد كبرت سنى ، ورق عظمى ، وأحب لقاء ربى — فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة ومرافقة سعد فى الجنة ، فدعا له الرسول بذلك ، فذكر خيثمة كل هذا .. وترددت دعوة الرسول فى أذنه كأنها مازالت ترن بعد .. وفى تلك اللحظة تناولته الرماح فسقط شهيداً .

واستقر فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وهتف سكان العالم العلوى والملأ الملائكى : (أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

فهنيئاً لك الشهادة يا سعد يا شهيد بدر ، وهنيئاً لك الشهادة يا خيثمة ، يا شهيد أحد .

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) .

ذكر الله تعالى

هذا هو المبحث الثالث فى هذه الآية الكريمة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) وشاهدنا فى هذا المبحث قوله جل شأنه (وذكر الله كثيراً) .

إن الذكر فى الحقيقة استحضار عظمة الله تعالى وجلاله وكماله استحضاراً قلبياً يبعث على الخشية والمراقبة ، ولابد أن يكون الذكر مصحوباً بالفكر ، كما قال تعالى : (إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) .

وقد أمر الله عباده المؤمنين أن يذكروه كثيراً ، فقال عز من قائل :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً . وسبحوه بكرة وأصيلا) .

وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ « سبق المفردون ، قالوا وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » قال النووى فى بيان الذكر الكثير : قال الإمام أبوالحسن الواحدى ، قال ابن عباس : المراد يذكرون الله فى أدبار الصلوات وغدواً وعشياً وفى المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا أو راح ذكر الله تعالى : وقال مجاهد : لا يكون من الذاكرين الله

كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً أى على كل حال فى حركاته ومشيه وسكونه ونومه . ومعنى ذلك أن يستحضر عظمة الله وجلاله وكماله فى جميع شئونه كما أخبر بذلك الصادق الأمين ﷺ وهو يجيب على سؤال جبريل : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وليس الذكر قاصراً على تحريك الألسنة والشفاه إنما الذكر على سبعة أنحاء ، فذكر العينين البكاء ، وذكر الأذنين الإصغاء ، وذكر اللسان الثناء ، وذكر اليدين العطاء ، وذكر البدن الوفاء ، وذكر الروح الخوف والرجاء ، وذكر القلب التسليم والرضاء .

آداب الذكر

وللذكر آداب يجب مراعاتها ، اجتمعت هذه الآداب فى قوله تعالى : (واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) إذ أن خشوع القلب متوقف على خشوع الجوارح ، فيستحب لذاكر الله أن يجلس مستقبلا القبلة كهيئة التشهد فى الصلاة وأن يستحضر عظمة الله حتى يكون بين اللسان والقلب توافق وتجاوب فيخشع القلب ويصدق اللسان .

روى عن عطاء رضى الله عنه : من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله تعالى : (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) .

وقد جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى

ركعتين جميعاً ، كتبا فى الذاكرين الله كثيراً والذاكرات »
هذا حديث مشهور رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة فى سننهم .

أنـواع الـذكر

ومن تتبع الكتاب والسنة وجد ما يلى :

أن الذكر يتمثل بثلاث نواح :

١ ـ ناحية عامة وهى استحضار نية العمل لوجه الله فى كل ما يفعله المسلم ، وذلك ذكر .

٢ ـ ناحية أساسية هى الصلاة فروضها وسننها ، وبدونها لايكون الإنسان ذاكراً ، وبإكمالهـا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

٣ ـ ناحية متممة وهى الأذكار المأثورة باختلاف الأحوال والحالات والأوقات والمناسبات .

أما الناحية الأولى وهى استحضار النية فإن نية المرء تعتبر عبادة مادام ينوى بعمله وجه الله تعالى والتقرب إليه ، ولذا قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » .

وقال : «إذا أنفق المسلم على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة» .

فإذا تحولت النية من الخير إلى الشر ، وعزم صاحبها على تنفيذ ما نوى فإن الله تعالى يحاسبه على عزمه وتصميمه . وهذه الآيات البينات تبين لنا تلك القضية (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها

مصبحين ، ولا يستثنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون . أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون) .

وأما الناحية الثانية : وهي الصلاة ، فإن الصلاة كلها ذكر ، لذلك قال تعالى : (وأقم الصلاة لذكرى) .

وقال تعالى (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) .

وبمقدار ما يحسن الإنسان فيها يكون ذاكراً ، وبمقدار ما يسيء أو يقصر يكون غافلا .

قال تعالى فى وصف المنافقين (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) .

* * *

ومن تأمل الصلاة وجد أن دعاء الافتتاح فيها ذكر ، وفى القيام ذكر ، وقراءة القرآن ذكر ، وفى الركوع ذكر ، وفى القيام منه ذكر ، وفى السجود ذكر ، وفى القعدتين ذكر ، وأورادها الراتبة بعدها ذكر .

فإذا ما أدى الإنسان الصلوات كلها فرائضها وسننها وما سن له فيها وبعدها وقبلها فإن ذلك وحده يجعله من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

وقد روى عن النووى ما يشير إلى ذلك .

فإذا ما أقام فريضة الصبح ونافلتها بين الفجر والشمس ، وأقام سنة الضحى بين الشمس والزوال ، وأقام سنة الظهر القبلية ، وفريضة الظهر وسنتها البعدية بين الزوال والعصر ، وأقام العصر فى وقتها ، والمغرب وسنتها كذلك ، والعشاء وسنتها ، ثم القيام والتهجد والوتر ، كان لا شك من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

قال عليه السلام :

« من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » .

وأما الناحية الثالثة وهى الأذكار المأثورة فإنه يسن للمؤمن أن يذكر الله على كل حال ، فقد كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحواله . وهذا الباب ليس فيه تحديد بل على المسلم أن يذكر الله بشكل مطلق ولا يزال لسانه رطباً من ذكر الله .

قال صلى الله عليه وسلم : « جددوا إيمانكم ، قيل يا رسول الله كيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من ذكر لا إله إلا الله » .

وقال مولانا تبارك اسمه (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع

عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) .

ومما يجب التنبيه عليه أن المسلم يختار الأمر الوسط دون إفراط أو تفريط ، وهذه سنة الإسلام فى تشريعاته لا يعرف الإسراف و لا التقتير (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .

ولذا فإن الله تبارك وتعالى يأمر بذكره بالكيفية التى لا تعطل مصالح العباد وقضاء حوائجهم ، وتفريج كروبهم وإغاثة ملهوفهم ، وفى الوقت نفسه فإن الإسلام ينهى عن الغفلة ويوصى بأن يظل القلب حاضراً مع الله ، يغذيه اللسان بذكر الله .

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت » .

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

قال صلى الله عليه وسلم « ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه إلا كان عليهم ترة ، وما من رجل يمشى طريقاً فلم يذكر الله عز وجل إلا كان عليه ترة » .

ومن فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم أنه لم يكلفهم بما لا يطيقون ، ولم يشق عليهم فيما أمرهم به ، فقد وردت فى الذكر صيغ جامعة موجزة فى مبناها ، عظيمة فى أجرها وثوابها لمن ذكر الله بها .

عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال : « مازلت اليوم على الحال التى فارقتك عليها » ؟ قالت نعم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » رواه مسلم.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح : (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون . يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) أدرك ما فاته فى يومه ذلك ، ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته » رواه أبو داود .

وهناك أذكار رأينا فى ذكرها التسهيل على العباد حتى لا يحرموا من ذلك الخير العظيم والبركة والفضل .

من هذه الأذكار الاستغفار ، وهو أن يقول العبد أستغفر الله ، أو أن يقول أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، فإن من قالها فى يوم مائة

مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه .

وكلنا نعلم أن هناك كلمتين خفيفتين على اللسان ولكنهما ثقيلتان فى الميزان وهما : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

كما لا يفوتنا أن نذكر وصية الخليل إبراهيم التى قالها للنبى ليلة المعراج : يا محمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : ولا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة .

الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد » .

إن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج صاحبها بفضل الله من ظلمات الغفلة والشبهة والشهوة وترتفع به من غياهب الظلمات إلى مدارج الأنوار ومعارج الأسرار (هو الذى يصلى عليكم وملائكته

ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريما) .

قال صلى الله عليه وسلم : « من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات » .

وروى النسائى عن أبى طلحة أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى فى وجهه فقلنا : إنا لنرى البشرى فى وجهك ، قال : إنه أتانى الملك فقال : يا محمد إن ربك يقول : أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً ، فهذا فضل الله تعالى على عباده إذا هم صلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم .

وتتأكد الصلاة على رسول الله ﷺ إذا ذكر اسمه ، لما رواه الترمذى عن على بإسناد حسن « البخيل الذى من ذكرت عنده فلم يصل عليّ » .

ويجب هنا أن نذكر ما جاء فى كتب التفسير عن معنى قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

قال البخارى قال أبو العالية : صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء . وقال ابن عباس : يصلون أى يباركون .

وروى عن سفيان الثورى وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب الرحمة ، وصلاة الملائكة الاستغفار .

وروى عن عطاء بن أبى رباح (إن الله وملائكته يصلون على النبى) قال : صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتى غضبى . والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه فى الملأ الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلى عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعاً .

قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث بن إسحق عن جعفر يعنى ابن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بنى إسرائيل قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام : هل يصلى ربك ؟ فناداه ربه عز وجل : يا موسى سألوك هل يصلى ربك ، فقل نعم أنا أصلى وملائكتى على أنبيائى ورسلى ، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلى على عباده المؤمنين فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) .

وقال جل شأنه (وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا

إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمةوأولئك هم المهتدون) .

وفى الحديث الشريف « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف» .

وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها والحيتان فى البحر يصلون على معلم الناس الخير » .

وللطبرانى فى الأوسط والكبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى عليه الله وملائكته حتى تغيب الشمس » .

كيفية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تبين لنا كيفية الصلاة عليه كما تفيد الأمر بالصلاة عليه .

قال البخارى فى تفسير قوله تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

قال حدثنا سعيد بن يحى بن سعيد أخبرنا أبى عن مسعر عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن كعب بن عجرة قال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

ومعنى قولهم لرسول الله ﷺ قد علمنا السلام عليك فالمقصود ما جاء فى التشهد وهو السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

وفى حديث آخر قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟ قال قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وعن أبى مسعود البدوى رضى الله عنه أنهم قالوا يارسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلى عليك إذا نحن صلينا فى صلاتنا ؟ فقال قولوا : « اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد » وذكره . ورواه الشافعى رحمه الله فى مسنده عن أبى هريرة بمثله . ومن هنا ذهب الشافعى رحمه الله إلى أنه يجب على المصلى أن يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأخير فإن تركه لم تصح صلاته .

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل عن أبى داود عن بريدة قال : قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وروى ابن ماجه بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لاتدرون لعلذلك يعرض عليه . قال فقالوا له علمنا ، قال :

قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وفى رواية قالوا : يا رسول الله علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وارحم محمداً وآل محمد كما رحمت آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » .

فيستدل بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول جمهور العلماء . ويقويه حديث الأعرابى الذى قال : اللهم ارحمنى ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد حجرت واسعاً » .

بركات الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن بركات الصلاة على رسول الله ﷺ أن الملائكة تصلى على من صلى عليه مادام يصلى عليه .

قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلاة لم تزل الملائكة تصلى عليه ما صلى على فليقل عبد من ذلك أو ليكثر » .

وروى أبو عيسى الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » .

وعن زيد بن طلحة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى آت من ربى فقال لى ما من عبد يصلى عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً . فقام إليه رجل فقال يا رسول الله ألا أجعل نصف دعائى لك ؟ قال : إن شئت ، قال ألا أجعل ثلثى دعائى لك ؟ قال إن شئت ، قال ألا أجعل دعائى كله ؟ قال إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة » .

وروى أحمد رضى الله عنه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أو قبضه. قال فجئت أنظر ، فرفع رأسه فقال « مالك ياعبد الرحمن ؟ قال فذكرت له ذلك فقال : إن جبريل عليه السلام قال لى ألا أبشرك إن الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه » .

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه فقالوا يارسول الله إنا لنرى السرور فى وجهك ، فقال : إنه أتانى الملك فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً ؟ قلت : بلى » .

وقال الإمام أحمد رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « صلوا عليّ فإنها زكاة لكم ، وسلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في أعلى الجنة ولا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا هو » .

ومعنى طلب الوسيلة لرسول الله أن يقول العبد : اللهم رب هـذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته .

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : « من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر » .

وعن عبد الله بن عمرو قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال : « أنا محمد النبي الأمي — قاله ثلاث مرات — ولا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه ، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوز لي ، عوفيت وعوفيت أمتي فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه » .

وروى أبو داود الطيالسي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ذكرت عنده فليصل عليّ ، ومن صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه عشراً » .

من أبخل الناس

يبين الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه أن البخيل ، بل إن أبخل الناس من إذا سمع اسم الرسول ﷺ يذكر فلا يصلى عليه . قال عليه الصلاة والسلام « البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « بحسب امرىء من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى علي » .

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل رمضان عليه ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » .

وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون علي إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب » .

وروى الإمام أحمد رضى الله عنه بسنده عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد

من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا على فإن صلاتكم على زكاة لكم ، وسلوا الله لى الوسيلة . والوسيلة أعلى درجة فى الجنة» .

وروى الإمام أحمد بسنده عن رويفع بن ثابت الأنصارى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » .

وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وأعطه سؤله فى الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى عليهما السلام .

وروى الإمام أحمد بسنده عن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال : «اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك» ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال : «اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك » .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شىء حتى تصلى على نبيك .

وروى الإمام أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث أبى الجوزاء عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى الوتر : «اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فإنك تقضى ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ».

وزاد النسائى فى سننه بعد هذا « وصلى الله على محمد » .

الصلاة على المختار يوم الجمعة وليلتها

ليس هناك أدنى شك فى أن خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، وذلك لأنه عيد المسلمين ، والجمعة حج المساكين ، والسموات والأرض تحتفى بهذا اليوم العظيم .

ومن أفضال هذا اليوم أن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لها أعلى المكانات وأعظم الدرجات .

اسمع معى ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أوس بن أوس الثقفى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ؛ فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على . قالوا : يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ : يعنى وقد بليت ، قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ».

وروى عبد الله بن ماجة بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فإنه مشهود

تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلى على فيه إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها . قال قلت : وبعد الموت ؟ قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

وقال الشافعى : أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا الصلاة علىّ» .

وهكذا يجب على الخطيب أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فى الخطبتين ، ولا تصح الخطبتان إلا بذلك فإنها عبادة وذكر الله شرط فيها ، فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ، كالأذان والصلاة وهذا مذهب الشافعى وأحمد رضى الله عنهما . ومن ذلك يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم . قال أبوداود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » .

وعن أبى هريرة أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبرى عيداً ، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم » .

صلى عليك الله يا علم الهدى ، ما هبت النسائم ، وما ناحت على الأيك الحمائم .

سيدى أبا القاسم يا رسول الله :

صلت عليـــك ملائك الرحمـــن — وسرى الضياء بسائر الأكوان
لمـــا طلعت على الوجود مزودا — بحمى الإلــــه وراية القرآن

تباركت ربنا وتعاليت ، جلت حكمتك ، وعمت رحمتك ، وعظمت وأفتك أرسلته هادياً للناس ، ووصفته فى التوراة بقولك : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفا .

صلوات ربى وسلامه عليك يا مبعوث العناية الإلهية ، يا من أرسلك الله رحمة للعالمين ، يا خاتم الأنبياء والمرسلين ، يا قائد الغر المحجلين ، يا إمام الموحدين ، يا صاحب المقام المحمود ، والموقف المشهود ، واللواء المعقود ، والحوض المورود ، يا من قال الله فى شأنك (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) .

ويا من قال الله فى شأنك : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

هؤلاء أحبهم الله

بعد ما سبق الحديث عن نماذج من الذين يحبهم الله نواصل الكلام عن هؤلاء أيضاً . فقد علمنا أن الله يحب المحسنين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب الذين يتبعون رسول الله .

ثم بعد ذلك أفضنا فى تفسير قوله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول

الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)
ووقفنا مع هذا النص الكريم ثلاث وقفات كان أولاها قوله جل
شأنه (أسوة حسنة) وكانت ثانيتها ، قوله تعالى : (لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر) وكانت ثالثتها قوله جل شأنه (وذكر الله كثيراً) .

هذا ونحن فى مسيرتنا مع الذين يحبهم الله نذكر هذا الحديث
القدسي الجليل : « وجبت محبتى للمتحابين فى والمتزاورين فى والمتباذلين
فى » رواه مالك .

إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء
والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا يارسول الله تخبرنا من هم ؟
قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها
فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ،
ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ قوله تعالى : (ألا إن أولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) رواه أبو داود عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

وروى أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان : من كان الله ورسوله
أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله ، ومن يكره أن
يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » رواه
الشيخان والترمذى والنسائى .

وروى الترمذى عن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

الحديث القدسى : « المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » رواه مالك ومسلم .

وعن أبى ذر قال يارسول الله : الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم ، قال : أنت يا أبا ذر مع من أحببت ، قال فإنى أحب الله ورسوله ، قال : فإنك مع من أحببت ، فأعادها أبو ذر فأعادها صلى الله عليه وسلم .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين ، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل ، قيل : من هم يا رسول الله قال : جماع من نوازع القبائل (أى أخلاط من أعراب القبائل) يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى آكل التمر أطايبه » .

وروى مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال لا غير أنى أحببته فى الله ، قال فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

وعن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان ».

وروى الترمذى وأبو داود عن المقدام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه » .

ندرك مما مضى أن من طرق الوصول إلى محبة الله :

أولا : الحب فى الله، وهذه المحبة لا تتحقق إلا إذا كانت خالية من الغرض ، إيجابية فى الخير .

ثانياً : التزاور فى الله .

ثالثاً : البذل فى الله .

وهى كلها طرق سهلة نتائجها كثيرة وكبيرة عند الله .

التقـــــوى

قال الله تبارك وتعالى : (إن الله يحب المتقين) .

التقوى هى السلاح الأقوى، ولذا جاءت جامعة لكل معانى الإنسانية ولكل معانى البر . قال الله جل شأنه : (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) .

وقال تبارك اسمه (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى) .

ولقد سئل الإمام على كرم الله وجهه عن التقوى فقال : التقوى هى

الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ،والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيـــل .

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال : « التقوى ها هنا » وهذه الكلمة الجامعة رسالة الأنبياء إلى قومهم ، فمن اتقى الله خافه ، ومن خاف الله عرفه ، ومن عرف الله أحبه ، ومن أحب الله أحبه الله .

قال تبارك اسمه (يحبهم ويحبونه) ومن أحب الله وأحبه الله استحيا من الله ، ومن كان الحياء خلقه لزم الوقوف على طاعة من أحبه ، وإلا لم يكن صادقا فى دعواه .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبـــك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحـــب مطيـــع

وحقيقة التقوى ، ألا يراك ربك حيث نهاك ، وألا يفقدك حيث أمرك ، ولذا قيل لتقى الدين الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه :

ما سر زهدك فى الدنيا ؟ قال أربعة أشياء :

علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبى ، وعلمت أن عملى لا يقوم به سواى فاشتغلت به . وعلمت أن الله مطلع على فاستحييت أن يرانى على معصية ، وعلمت أن الموت ينتظرنى فأعددت الزاد للقاء الله .

تزود من حيـاتك للمعـــاد ... وقم لله واجمع خير زاد
ولا تركن إلى الدنيـا قليلا ... فإن المـــال يجمـع للنفـاد

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

وهذه الكلمة كانت المقياس الصحيح للدعوة إلى الله (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون) (كذبت قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) .

(كذبت عاد المرسلين . إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) .

(كذبت ثمود المرسلين . إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون) .

(كذبت قوم لوط المرسلين . إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون) .

(كذب أصحاب الأيكة المرسلين . إذ قال لهم شعيب ألا تتقون) .

(آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) .

وهكذا ورد تفسير التقوى فى هذا المشهد بالإيمان بالغيب ، وإقام الصلاة والإنفاق ، والإيمان بالكتب السابقة والقرآن الكريم ، كما ورد تفسيرها بمعنى جليل فى موضع آخر قال جل شأنه :

(قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) .

فأنت ترى تفسير التقوى فى هذا الموضع أولا : بالتوجه إلى الله بالدعاء أن يغفر الذنوب ويقيهم عذاب النار ، وثانياً : بالصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار بالأسحار .

وفى موضع آخر يقول الله تعالى فى وصف المتقين : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

وفى موضع آخر يصف الله المتقين بقوله :

(ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءاً وذكرى للمتقين . الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) .

وفى موضع آخر يصف المتقين بقوله :

(إن المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) .

وفى سورة أخرى يقول الله تعالى فى وصف المتقين :

(إن المتقين فى جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون . متكئين على

سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين . والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين . وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون . يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون . وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين ، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم . إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) .

فأنت ترى فى هذا المشهد الكريم أن هؤلاء المتقين قد وصفهم الله بالإشفاق أى الخوف من معصية الله ، جعلوا الله عليهم شهيداً ووكيلا وكفيلا ورقيباً وسميعاً وبصيراً وعليماً (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) (إن الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء . هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم) .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) .

ومن ثم فإن مدار التقوى على مخافة الله ، لأن من خاف سلم ، ومن سلم نجا ، ومن نجا فقد فاز ، وذلك هو الفوز العظيم .

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً ... وعند الله للأتقى مزيد
وإدراك الذى يأتى قريب ... ولكن الذى يمضى بعيد

قيل لتقى الله الحسن البصرى : أى الأيام عندك عيد ؟ فقال : كل يوم لا أعصى الله فيه فهو عيد .

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى   تقلب عريانا ولو كان كاسياً
وخير لباس المـــرء طاعة ربه   ولا خير فيمن كان لله عاصياً

يحب الصــابرين

من أجل ما يؤتى المؤمن فى هذه الدنيا اليقين والصبر ، فإذا اجتمعا لعبد مؤمن عاش فى دنياه طيب القلب ، مطمئن النفس ، هادىء البال ، سعيد الحال .

قال تعالى :

(ما عندكم ينفد وما عند الله باق ، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) — (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

الصبر فضيلة من أجل الفضائل ، ولذا قال الله فى جزاء أصحابها (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

وقد أخبر الله جل شأنه أنه يحب الصابرين . قال تبارك اسمه : (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) .

الصبر هو مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد للقبائح ، أو هى ثبات باعث الدين فى مقابل باعث الشهوات ، وينقسم إلى قسمين :

(١) صبر جسمانى .

(٢) وآخر نفسانى .

وقد اجتمعا فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها وصبر عليها إلا كفر الله بها من خطاياه » .

فأنت إذا صبرت على تحمل الشدائد فى سبيل لقمة العيش ، فأنت من الصابرين الذين إذا باتوا كالين من عمل أيديهم باتوا مغفوراً لهم .

أما الصبر النفسانى فأقسام أربعة :

(١) الصبر عن الشهوة الجنسية : عفة .

(٢) والصبر عن شهوة الغنى : قناعة .

(٣) والصبر على جهالة الجاهلين : حلم .

(٤) والصبر على احتمال المصائب : شجاعة .

وبهذا يتبين لنا أن الصبر فضيلة ، وأن الجزع رذيلة ، وهذا مثل من أمثال صبر الرسول التى تعددت فى الشدائد .

وهذا المشهد وقع يوم أحد مع أعز الناس وأكرم الرجال وأشجع الفتيان . إنه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وعم رسول الله وأخوه فى الرضاعة الذى قال فيه النبى الحبيب :

« جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع : أسد الله وأسد رسوله » .

كان حمزة رضى الله عنه يعرف عظمة ابن أخيه وكماله ، وكان على بينة من حقيقة أمره وجوهر خصاله .

فهو لا يعرفه معرفة العم بابن أخيه فحسب بل يعرفه معرفة الأخ والصديق ، ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم وحمزة رضى الله عنه من جيل واحد وسن متقاربة ، نشآ معا وتآخيا معاً وسارا معاً على الدرب من أوله خطوة خطوة .

دارت المعركة يوم أحد واشتد القتال وحمى الوطيس ، وصمتت الألسنة ونطقت الأسنة وخطبت السيوف على منابر الرقاب ، وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب .

فلا ترى إلا رءوساً تنفر ، ودماء تهدر ، ورخصت الأرواح فى أسواق الموت ، وتمشى ملك الموت يقبض أرواح أعداء الله إلى جهنم ، وفتحت الجنة أبوابها تستقبل أرواح الشهداء الذين كتبوا بدمائهم صفحات الفخار والمجد ، ونزل أسد الله حمزة الميدان وهاج فى صفوف المشركين ، وزأر زئير الأسود إذا ديس عرينها ، قال (وحشى ابن حرب) والله إنى لأنظر « حمزة » يهد الناس بسيفه تأثر الرأس ما يلقى شيئاً يمر به ، مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمنى إليه « سباع » وهو يقول ألا من مبارز ؟ فقال له حمزة : هلم ، ثم ضربه ضربة هائلة قتلته . قال وحشى : وكنت كامناً وراء صخرة لا يرانى وهززت حربتى حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت فى ثنيته حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوى فغلب فوقع وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت

حربتي ثم تنحيت إلى العسكر ولم يكن لي حاجة بشيء غيره . وكان ذلك آخر العهد به وأقبلت هند بنت عتبة ، على حمزة فبقرت كبده ولاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها وقالت :

نحن جزيناكم بيـــوم بــــدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
شفيت نفسي وقضيت نـذرى شفيت (وحشي) غليل صدرى
فشكر (وحشي) علىّ عمرى حتى ترم أعظمي في قبرى

ووقف أبو سفيان زوج هند يضرب في وجه حمزة برمحه مظهراً الشماتة والتشفي ، وأبلغ رسول الله ﷺ الخبر المفجع والحدث الجلل .. ورأى عمه وأخاه في الرضاعة ورفيق عمره وقد بقر بطنه وأخرج كبده ومثل به وجدع أنفه وأذناه .

فقال : « لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم » ثم قال : « والله يا عم ما وقفت موقفاً أغيظ إلى من هذا » .

وقال الرسول للزبير بن العوام قل لأمك صفية وكانت شقيقة حمزة « ارجعي حتى لا ترى مصرع أخيك » .

فقال لها الزبير : يا أمه « إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي » :

فقالت : ولم ؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله .

فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك قال له خل سبيلها . .

ودفن حمزة مع ابن أخته « عبد الله بن جحش » .

ونزل سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء بهذه الآيات القرآنية التي تفوح مسكا وعبيراً وتتقاطر نوراً ورحمة (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

وصبر الرسول راضيا بقضاء الله وقدره . وكيف لا وهو سيد الصابرين وإمام الشاكرين .

من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصبر

عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » ، رواه مسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » رواه البخارى ومسلم .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « أربع لا يصبن إلا بعجب : الصبر وهو أول العبادة ، والتواضع ، وذكر الله ، وقلة الشيء » رواه الطبرانى .

وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يدك أوثق منك بما فى يد الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك » .

وعن علقمة قال : قال عبد الله :« الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله » .

وعن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الصبر معول المسلم » .

وعن صهيب الرومى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » رواه مسلم .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت أبا القاسم يقول : « إن الله عز وجل قال يا عيسى إنى باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم

ولا علم ، فقال يارب : كيف يكون هذا ؟ قال : أعطيهم من حلمى وعلمى » رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .

وقال رسول الله ﷺ : « من أعطى فشكر ، وابتلى فصبر ، وظلم فاستغفر ، وظلم فغفر ، ثم سكت فقالوا : يارسول الله ماله ؟ قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » رواه الطبرانى .

وعن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج » .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما ابتلى الله عبداً ببلاء وهو على طريقة يكرهها إلا جعل الله ذلك البلاء كفارة وطهوراً ما لم ينزل ما أصابه من البلاء بغير الله عز وجل أو يدعو غير الله فى كشفه » .

وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة » .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة فقال : ما أشد حماك يارسول الله ، قال : إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر ،

ثم قال يا رسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال الأنبياء ، قال ثم من ؟ قال : العلماء ، قال ثم من ؟ قال الصالحون ، كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ، ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها ، ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء » رواه ابن ماجه .

المقاتلون فى سبيل الله

علمنا فيما مضى أن الله تبارك وتعالى يحب المحسنين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب المتحابين فيه ، ويحب المتزاورين فيه ، ويحب المتباذلين فيه ، ويحب المتقين ، ويحب الصابرين .

وها هو القرآن الكريم فى جلاله وعظمته يبين لنا أن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله . قال عز وجل : (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) .

روى الترمذى عن عبد الله بن سلام قال : كنت جالساً فى نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نتذاكر نقول : لو كنا نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملناه فنزل قوله تعالى : (سبح لله ما فى السموات ومافى الأرض وهو العزيز الحكيم . يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون . إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) .

إن الحق لابد أن تسانده قوة تدافع عنه ، ولذا قال تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس

بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز) .

وقد ضمن الله النصر لعباده المؤمنين فقال : (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) .

وأكد هذا المعنى فى قوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) .

ولا مجال للتشاؤم فإن المستقبل للإسلام يبشر بأن حكم الله تعالى وما أنزله على نبيه لابد أن يفىء إليه العالم .

جاء فى الحديث الصحيح : « من قال هلك المسلمون فهو أهلكهم » .

وقال عليه الصلاة والسلام « أمتى مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله » .

وكيف يتشاءم المسلم والمبشرات قد وردت على لسان رسول الله وهو الصادق الأمين .

جاء فى الحديث الصحيح .

« إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشرقها ومغربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر » .

وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أى المدينتين تفتح أولا : القسطنطينية أو رومية ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « مدينة هرقل تفتح أولا » يعنى قسطنطينية .

ثم ينبئنا نبى الله صلوات الله وسلامه عليه بوحى من الله ما كان وما سوف يكون فيقول بلسان الصادق الأمين : « إن أول دينكم نبوة ورحمة وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله جل جلاله ، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعه الله جل جلاله ،ثم يكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله جل جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل فى الناس بسنة النبى ، ويلقى الإسلام بجرانه فى الأرض ، يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركاتها شيئاً إلا أخرجته » .

صدقت يارسول الله فأنت الصادق الأمين والإنسان المعصوم الذى ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

وبعد . . .

فقد كانت هذه إشعاعات من نور أضاءت لنا الطريق فى قضية الألوهية ، وفى الحديث عن نبى الرحمة وأثر الاقتداء به ، وبينا فيها الصفات التى يجب على كل مسلم أن يتحلى بها حتى ينال محبة الله . .

ومهما كتب القلم وأملى اللسان وفكر الجنان وعبر البيان فما كل هذا إلا جزء من كل ، وغيض من فيض ، وسطر من قطر ، وقطرة من بحر ، واما أنا بجانب هذه الحقائق وتلك المبادىء ، إلا كشعاع الشمس المتسلل من حنايا النافذة .

وما أنا منك يارسول الله إلا كذلك الأعرابى الذى ضل الطريق فى الصحراء ، فلما طلع القمر اهتدى بنوره فى مسالك الشعاب فقال للقمر : أيها القمر أنا لا أدرى ماذا أقول لك ؟ أأقول رفعك الله ؟ لقد رفعك . . أأقول : جملك الله ؟ لقد جملك . أأقول نورك الله ؟ لقد نورك . .

وأنا ماذا أقول عنك يارسول الله ؟ .

أأقول : رفعك الله ؟ لقد رفع الله ذكرك ، فقال (ورفعنا لك ذكرك) . .

أأقول : جملك الله ؟ لقد جملك فقال : (وسراجاً منيراً) .

أأقول : نورك الله ؟ لقد نورك فقال : (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) .

سيدى أبا القاسم يارسول الله :

يا سيدى يا رسول الله معــذرة　　إذا كبا فيك تبيانى وتعبــيرى
ماذا أوفيك من حق وتكرمة　　وأنت تعلو على ظنى وتقديرى
أقبلت كالفجر وضاح الأسارير　　تدعو إلى الله فى بشر وتيسير
على جبينك نور الحق منبلجــاً　　وفى يديك لواء العدل والنور

صلى عليك الله يا علم الهدى ، ما هبت النسائم ، وما ناحت على الأيك الحمائم .

المؤلف

عبد الحميد كشك

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
الرسالة الخالدة	٧
هذا خلق الله	٨
لا مجال للصدفة فى هذا الكون	١٢
الكون يتحدث عن وحدانية الله	١٤
آيات ناطقة بالحكمة والقدرة	١٥
آية أخرى	١٦
آية الله فى الماء	١٩
آية الله فى نظام الفلك	٢٠
الشمس والأرض والقمر والنجوم	٢١
عناية الله بالكوكب الأرضى	٢٣
حقيقة علمية	٢٧
من عناية الله بعباده	٣٣
لحم الخنزير	٣٤
الايمان طمأنينة وأمان	٣٥
الدواء الناجع	٣٨
تأملات وتنبيهات	٤٢
انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٤٥
مقارنة بين عصرين	٤٧
كان رسول الله قرآنيا	٤٨

الموضوع	الصفحة
تحذير وارشاد	٥١
فضل تلاوة القرآن	٥٢
نفحات مباركة	٥٣
من أقوال الرسول عن القرآن	٥٦
الذين يحبهم الله	٦١
الاحسان	٦٢
التوبة والطهارة	٦٣
حقيقة التوبة	٦٥
ويحب المتطهرين	٦٨
نظرة فى الآية الكريمة	٦٩
ماذا يقول الطب الحديث ؟	٧٠
آلام الحيض	٧١
عرضة الحائض للأمراض	٧٢
أذى وطء المرأة أثناء الحيض	٧٣
الأذى الذى يصيب الرجل	٧٤
الناحية النفسية فى المنع	٧٩
أحكام شرعية	٨٠
دم النفاس	٨٠
ما يحرم على الحائض والنفساء	٨١
دم الاستحاضة	٨٣
أحكام تتعلق بالغسل	٨٤
مسائل تتعلق بالغسل	٨٧
ما هى الأغسال المستحبة ؟	٨٨
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم	٨٩

الموضـــوع	الصفحة
الأســوة الحســنة	٨٩
رجاء الله واليوم الآخر	٩٣
ذكر الله تعــالى	١٠٢
آداب الــذكر	١٠٣
أنواع الــذكر	١٠٤
الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . .	١٠٩
كيفية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم	١١٢
بركات الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم	١١٤
من ابخل النــاس ؟	١١٧
الصلاة على المختار يوم الجمعة وليلتها . . .	١١٩
هــؤلاء أحبهم الله	١٢١
التقـــوى	١٢٤
يحب الصابرين	١٢٩
من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصبر .	١٣٣
المقاتلون فى سبيل الله	١٣٦

رقم الايداع ٧١٧٣/١٩٨٧

الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧-١٣٦-٠٧١-x

مطابع الأهرام التجارية

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ عبد الحميد كشك الداعية الاسلامى قدم الى مريديه ومحبيه فى العالم الاسلامى العديد من الأحاديث المسجلة التى تحمل الدعوة الاسلامية الخالصة الصادقة الجريئة .

والعصر الذى نعيشه والأجيال الصاعدة التى تمزقها الحيرة بين الخطـأ والصواب يدعونا الى أن نعيش الدعوة الاسلامية تاريخها وحقائقها بقـدر ما نعيش واقعها ومسيرتها .

واسهاما فى ملء فراغ يشعر به الجميع فى هذا المجال نقدم مكتبة الشيخ عبد الحميد كشك فى :

١ ـ طريق النجاة
٢ ـ البطولة فى ظل العقيدة
٣ ـ رياض الجنـــة
٤ ـ نفحات من الدراسات الاسلامية
٥ ـ بناء النفوس
٦ ـ أصحاب النفوس المطمئنة
٧ ـ حياة الانســان
٨ ـ مع التوحيد والأخلاق
٩ ـ اليــوم الحـق
١٠ ـ صور من عظمة الاسلام
١١ ـ ارشـــاد العبــاد
١٢ ـ أضواء من الشريعة الغراء
١٣ ـ البعث والجزاء
١٤ ـ شفاء القلوب
١٥ ـ حقائق وحديث عن الروح
١٦ ـ حديث من القلب
١٧ ـ الصلاة رأس العبادات
١٨ ـ الاسلام وأصول التربية
١٩ ـ الوصايا العشر فى القرآن الكريم
٢٠ ـ ورثة الفردوس
٢١ ـ الهدى والنــور
٢٢ ـ جدد السفينة
٢٣ ـ أعــد الزاد
٢٤ ـ الفتوحات الربانية
٢٥ ـ رحلة الى الدار الآخرة
٢٦ ـ صم عن الدنيا وافطر على الموت
٢٧ ـ الصراع بين النفس والمال
٢٨ ـ اخلص العمل فان الناقد بصير
٢٩ ـ صاحب الرسالة العصماء
٣٠ ـ ســياحة مباركة
٣١ ـ فضل القرآن يوم الحشر
٣٢ ـ مصارع الظالمين
٣٣ ـ الصلح مع الله
٣٤ ـ الناس بخير ماتناصحوا
٣٥ ـ الوقوف بين يدى الله تعالى
٣٦ ـ على مائدة الاسلام
٣٧ ـ غذاء الروح
٣٨ ـ هالات من نور
٣٩ ـ ساعة صفاء على النفس
٤٠ ـ فى رحاب السكينة
٤١ ـ الاسلام ش
٤٢ ـ اذا ذكر ا
٤٣ ـ رسائل ر
٤٤ ـ من جوار
٤٥ ـ منطق الـ
٤٦ ـ فى ساحة
٤٧ ـ يارب كيف
٤٨ ـ حديث عن
٤٩ ـ الخوف و
٥٠ ـ شعاع من
٥١ ـ قصة البشـ



أحمد يحيى